حقيقة أخلاق النصارى

تأليف
الشيخ الدكتور
ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي

دار الأوراق الثقافية

حقيقة

أخلاق النصارى

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الغامدي ، ذياب سعد ال حمدان

حقيقة أخلاق النصارى. / ذياب سعد ال حمدان الغامدى ؛ - الطائف، ١٤٣٧هـ

١٠٠ ص ١٤ X ٢٠ سم

ردمك ٦-٠٢٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الاخلاق النصرانية ٢- التربية النصرانية أ. العنوان

ديوي ٢٧٤,١٢ ١٤٣٧/٢٨٩٧

رقم الإيداع: ١٤٣٧/٢٨٩٧

ردمك: ٦-٠٢٩٦-٠٢-٦٠٣-٩٧٨



المملكة العربية السعودية

ص ب : ١٥٥٣٣ جدة ٢١٤٥٤	Box: 15533 Jeddah:21454
تليفاكس: ٩٦٦ ٢ ٦٨٠٣٠٠٢+	Telfax: +966 2 680 300 2
الإدارة: ٩٦٦ ٠٥٠٥٣١٨٧٦٧+	Management: +966 5 053 1876 7
جدة : ٠٥٣٧٢٥٤٩٣٩	Jeddah: +966 53 725 493 9
المدينة المنورة : ٠٥٥٠٧٦٢٠٧٨	Medina: +966 55 076 207 8

E:mail:admin@alawraq.net

www.alawraq.net



daralawraq

حقيقة

أخلاق النصارى

تأليف

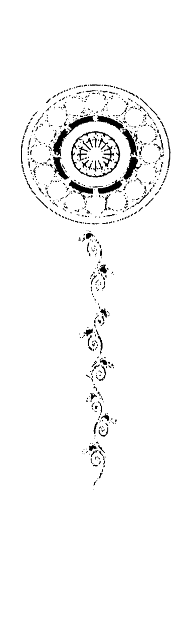
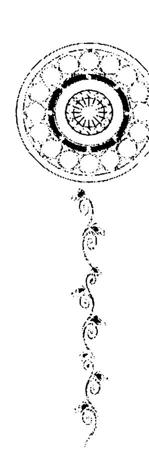
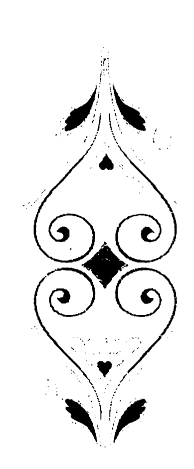
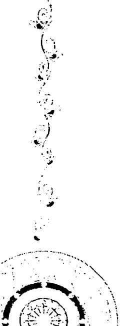
الشيخ الدكتور

ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي



دار الأوراق الثقافية

١٤٣٧هـ


أقْوالٌ مأثُوْرَةٌ

□ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

□ وقَالَ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾.

□ وقَالَ تَعَالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةًۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ

﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [التوبة: ٨-١٠]



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ لله الَّذِي أغْنَى وأقْنَى، والَّذِي خَلَقَ فسَوَّى، والَّذِي قَدَّرَ فهَدَى، والَّذِي أمَاتَ فأحيَا، والَّذِي يَعْلمُ السِّرَّ وأخفَى.

والصَّلاةُ والسَّلامُ على الرَّسُولِ المُصْطَفى، والنَّبيِّ الخَاتَمِ المُجْتَبَى، وعلى آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ الأتْقيَاءِ، وعلى أصْحَابِهِ الصَّادِقِيْنَ الأوْلِيَاءِ، وعلى مَنْ اتَّبَعَ أثَارَهُم واقْتَفَى.

أمَّا بَعْدُ؛ فهَذَا جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ عن بَعْضِ الأسْئِلَةِ الَّتي وَرَدَتْنِي مِنْ بَعْضِ الأُخْوَةِ الأفَاضِلِ مِنْ بِلادِ اسْكُتْلَندا، حَوْلَ بَعْضِ الأسْئِلَةِ المَشْبُوْهَةِ الَّتي يَقْذِفُهَا ضِعَافُ النُّفُوسِ وقَلِيْلُو الإيْمَانِ، فكَانَ مِنْ هَذِهِ الأسْئِلَةِ مَا يَلي:

١- أنَّنا نَجِدُ كَثِيْرًا مِنَ الشُّعُوبِ النَّصْرانيَّةِ لاسِيَّما بَلادِ أوْرُوبَّة: أنَّهُم يتَّصِفُوْنَ ببَعْضِ الأخْلاقِ الحَسَنةِ: كالصِّدْقِ والأمَانَةِ وغَيْرِهَا، فكَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الأخْلاقِ عِنْد الكُفَّارِ وبَيْنَ الآيَاتِ القُرْآنيَّةِ والأحَادِيْثِ النَّبويَّةِ الدَّالَّةِ على أنَّهم

أهْلُ كَذِبٍ وخِيَانَةٍ وحَسَدٍ وكِبْرٍ، والمُحذِّرَةِ أيْضًا مِنَ التَّعامُلِ مَعَهُم إلَّا في حُدُوْدٍ مُعْتَبَرَةٍ شَرْعًا؟

٢- وهَلْ نَفْهَم مِنْ هَذِهِ الآيةِ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [المائدة:٨٢]: بأنَّ النَّصَارَى أهلُ مَوَدَّةٍ وخَيْرٍ؟

٣- وكيف نَجْمَعُ بَيْنَ هَذِهِ الأخْلاقِ الحَسَنَةِ عِنْدَ الكُفَّارِ وبَيْنَ مَا نَجِدُهُ مِنْ أخْلاقٍ سَيِّئَةٍ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ هَذِهِ الأيَّامَ؟

* * *

وبَعْدُ؛ فاعْلَمْ أنَّ الجَوَابَ عَنْ هَذِهِ الأسْئِلَةِ المَشْبُوْهَةِ يَحْتَاجُ مِنَّا إلى كَرَارِيْسَ كَثِيرةٍ، غَيْرَ أنَّني آثَرْتُ الاخْتِصَارَ هُنَا؛ كَيْ تَعُمَّ الفَائِدَةُ وتَظْهَرَ العَائِدَةُ، ولاسِيَّما أنَّنا نُخَاطِبُ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ طَائِفَةً مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِينَ ممَّنْ لَيْسَ لَهُم عِلْمٌ شَرْعيٌّ، ولاسِيَّمَا المُبْتَعَثِيْنَ مِنْهُم، وقَدْ قِيْلَ: يَكْفِي مِنَ القِلادةِ مَا أحَاطَ بالعُنُقِ!

وعَلَيْهِ؛ فَإنَّ جَوَابَنَا على هَذِهِ السَّؤُلاتِ المُشَكِّكَةِ وغَيْرِهَا سَيَكُوْنُ مِنْ خِلالِ فَصْلَيْنِ، كَمَا يَلِي:

الفَصْلُ الأوَّلُ: الرُّدُوْدُ المُخْتَصَرَةُ على الأسْئِلَةِ المُشَكِّكَةِ.

الفَصْلُ الثَّاني: تَارِيْخُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» عِنْدَ كُفَّارِ الغَرْبِ.

حُرِّرَ ضُحَى يَوْمَ الأرْبِعَاءِ، المُوَافِقُ (٢/ ٥/ ١٤٣٢)

والحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْنَ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلى عَبْدِهِ ورَسُولِهِ الأمِيْنِ

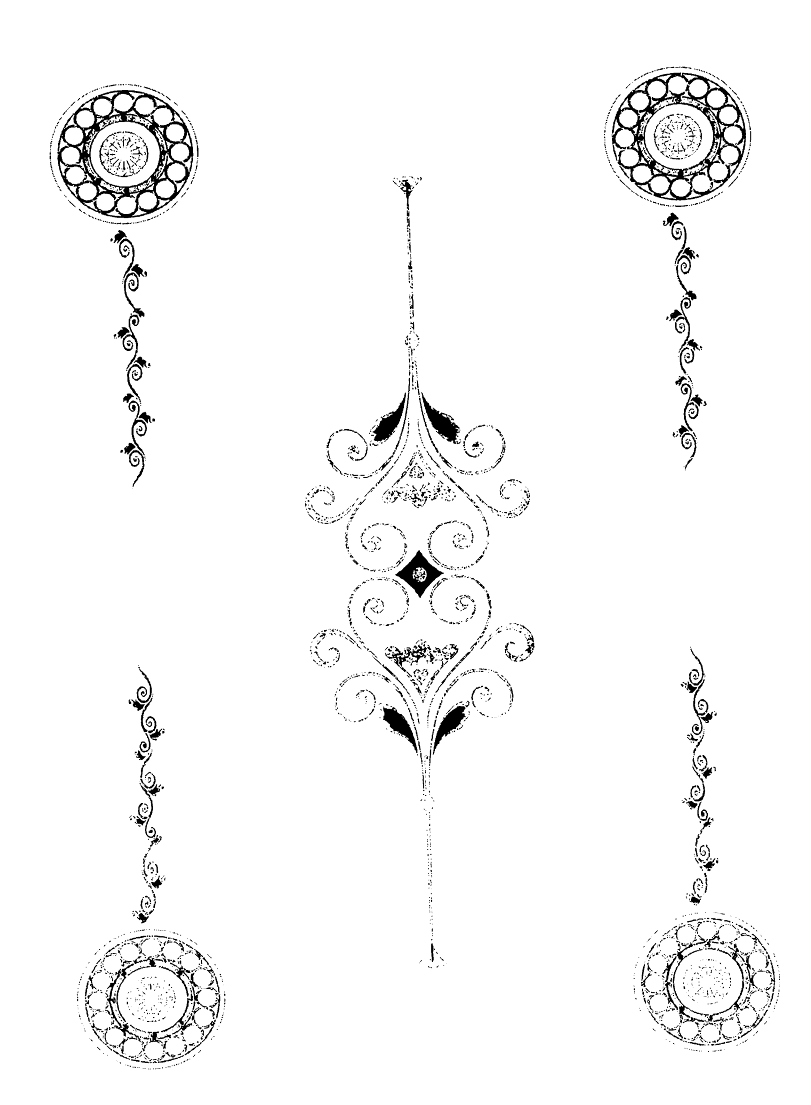
وكَتَبَهُ

ذِيَابُ بنُ سَعْدٍ آلُ حَمْدَانَ الغَامِدِيُّ

الطَّائِفُ المَأنُوْسُ

thiab1000@hotmail.com

www.thiab.net



الفَصْلُ الأَوَّلُ

الرُّدُوْدُ المُخْتَصَرَةُ على الأسْئِلَةِ المُشَكِّكَةِ

لَقَدِ اخْتَصَرْتُ الإجَابَةَ عَنْ جَمْلَةِ هَذِهِ الأَسْئِلَةِ مِنْ خِلالِ أَوْجُهٍ مُخْتَصَرَةٍ، مِنْهَا:

الوَجْهُ الأَوَّلُ: اعْلَمْ أنَّ كُفَّارَ أوْرُوبَّة هَذِهِ الأَيَّامَ على قِسْمِيْنَ: أوْرُبِّي جَاهِلي، وأوْرُبِّي نَصْرَانِي.

□ فأمَّا الأوْرُبِّي الجَاهِلي (العَلْمَانِي): فهُوَ الَّذِي لا عِلاقَةَ لَهُ بدِيْنِ النَّصْرَانِيَّةِ، بَلْ نَجِدُهُ قَدْ تنَصَّلَ وتَنَكَّرَ لدِيْنِهِ؛ بِحَيْثُ لا يَعْرِفُ عَنْ دِيْنِهِ شَيْئًا، حَتَّى إنَّ كَثِيْرًا مِنْهُم يَكْرَهُ أن يُنْسبَ إلى شَيءٍ مِنْ دِيْنِ الكَنِيْسَةِ (النَّصْرَانِيَّةِ) خَجلًا مِنْهُ وحَيَاءً، وذَلِكَ لأمُوْرٍ مِنْهَا:

أنَّه عَلِمَ يَقِيْنًا أنَّ دِيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ مُحرَّفٌ ومُشَوَّهٌ، وأنَّهُ أصْبَحَ أُلْعُوْبَةً في أيْدي رِجَالِ الدِّيْنِ عِنْدَهُم!

أو لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ دِيْنَهُ الَّذِي عَرَفَهُ مِنْ خِلالِ الكَنِيْسَةِ والكُتُبِ المُحَرَّفَةِ: لا يَصْلُحُ أَنْ يَكُوْنَ دِيْنًا رَبَّانيًّا، ولا مَنْهَجًا للحَيَاةِ؛ لأَنَّ فِيْهِ مِنَ المُغَالَطَاتِ والخُرَافَاتِ والتَّثْلِيْثِ مَا يَضْحَكُ مِنْهُ العَاقِلُ!

وأَصْحَابُ هَذَا القِسْمِ: هُم أَكْثَرُ النَّصَارَى اليَّوْمَ، لكنَّ أكثرَهُم لا يُفْصِحُ عَنْ هَذِهِ الحَقِيْقَةِ المُرَّةِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُم حَمِيَّةً لدِيْنِهِ، أو خَوْفًا على نَفْسِهِ، وهَؤلاءِ يُسَمَّوْنَ: بالعَلْمانِيِّيْنَ أو الدِّيْمُقْرَاطِيِّيْنِ!

فحَقِيْقَةِ دِيْنِ هَؤلاءِ الأُوْرُبِّيِّيْنَ: هُوَ دِيْنُ الجَاهِلِيَّةِ، لا دِيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ، لِذَا لَيْسَ لهُم مِنَ الدِّيْنِ النَّصرانيِّ إلَّا الانْتِسَابَ لَيْسَ إلَّا.

ومَعَ هَذَا أيْضًا: فَهُم أَقْرَبُ للحَقِّ مِنْ غَيْرِهِم لأَنَّهُم كَفَرُوا بدِيْنِ الكَنِيْسَةِ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ التَّحْرِيْفِ والتَّخْرِيْفِ، والمُغَالَطَاتِ والمُنَاقَضَاتِ ممَّا لا يَقْبَلُهُ عَاقِلٌ ولا يُحْسِنُهُ قَائِلٌ!

ولأَصْحَابِ هَذَا القِسْمِ: حَسَنَةٌ وسَيِّئَةٌ.

فأمَّا حَسَنَتُهُم: فَإنَّهم كَفَرُوا وخَرَجُوا مِنْ دِيْنِ الكَنِيْسَةِ المُحَرَّفِ!

وأمَّا سَيِّئَتُهُم: فإنَّهم لمَّا خَرَجُوا مِنْ دِيْنِ الكَنِيْسَةِ المُحَرَّفِ لم يَدْخُلُوا إلى دِيْنِ الإسْلام الحَقِّ، وهَذَا في حَدِّ ذَاتِهِ سِيِّئَةٌ لا تُغْفَرُ، وبَلِيَّةٌ لا تُشْكَرُ، وطَامَّةٌ ما بَعْدَهَا مِنْ طَامَّةٍ!

وخُلاصَةُ مَا هُنَا؛ أنَّ أصْحَابَ هَذَا القِسْم: هُم أقْرَبُ مَوَدَّةً للمُؤمِنِيْنَ، وأقْرَبُ أخْلاقًا للإسْلام، ومَا ذَاكَ إلَّا لكَوْنِهم قَدْ أقْبَلُوا بقُلُوْبٍ خَالِيَةٍ مِنْ كلِّ لَوْثَاتِ النَّصْرَانِيَّةِ المُحَرَّفَةِ، فعِنْدَهَا سَلِمَتْ لهُم الفِطْرَةُ الَّتِي خُلِقُوا عَلَيْهَا وذَلِكَ بقَدَرِ بُعْدِهِم عَنْ دِيْنِهم المُحَرَّفِ، لِذَا فَإنَّ الفِطْرَةَ السَّلِيْمَةَ هي أقْرَبُ مَوَدَّةً، وأسْرَعُ قَبُولًا للحَقِّ، لاسِيَّما في قَبُوْلِ دِيْنِ الإسْلامِ والأخْلاقِ الحَسَنَةِ والصِّفَاتِ الحَمِيْدَةِ.

لأجْلِ هَذَا؛ فَقَدْ اتَّسَم كَثِيرٌ مِنْ رِجَالِ الغَرْبِ اليَّوْمَ بشَيءٍ مِنَ الأخْلاقِ الحَسَنَةِ، الأمْرُ الَّذِي يَدْفَعُنَا ضَرُوْرَةً نَحْنُ (المُسْلِمِينَ) أنْ نَسْعَى جَاهِدِيْنَ في دَعْوَةِ أمْثَالِ هَؤلاءِ النَّصَارَى الَّذِيْنَ عِنْدَهُم شَيءٌ مِنْ تِلْكُمُ الأخْلاقِ، ومَا ذَاكَ إلَّا

لأنَّهُم أقْرَبُ مَحبَّةً للحَقِّ، وأقْرَبُ مَودَّةً للمُؤْمِنِيْنَ مِنْ غَيْرِهِم، لِمَا سيَجِدُونَهُ في دِيْنِ الإسْلامِ مِنْ حُسْنِ أخْلاقٍ، وطِيْبِ تَعَامُلٍ، وصِحَّةِ دِيْنٍ ومعتقدٍ ممَّا يُوَافِقُ الفِطْرَةَ والعَقْلَ!

□ وأمَّا الأوْرُبِّي النَّصْرَاني: فَهُوَ الَّذِي يَدِيْنُ بدِيْنِ النَّصْرَانِيَّةِ، ويُؤْمِنُ بِمَا في كُتُبِهِم، مَعَ عِلْمِهِ بأنَّ دِيْنَ الكَنِيْسَةِ عِنْدَهُم لا يَسْلَمُ مِنْ تَحْرِيْفٍ ومِنْ تَخْرِيْفٍ، الأمْرُ الَّذِي يَتَّفِقُ عَلَيْهُ عُقَلاءُ الغَرْبِ كَافَّةً، ولا يُنْكِرُ هَذَا إلّا مُكابِرٌ قَدْ أعْمَاهُ هَوَاهُ!

ومَعَ هَذا؛ نَجِدُ أصْحَابَ هَذَا القِسْمَ: هُم أكْثَرُ النَّصَارَى عَصَبِيَّةً وحمِيَّةً وهَوَىً وعَدَاءً للإسْلامِ والمُسْلِمِينَ، لِذَا نَجِدُهُم لا يَتْرُكُونَ لحْظَةً إلَّا ويَكِيْدُوْنَ فِيْهَا العَدَاءَ بالمُسْلِمِينَ، ولا يَتْرُكُوْنَ قَولًا ولا فِعْلًا يَسْتَطِيْعُوْنَهُ إلَّا وتَرَبَّصُوا بالمُسْلِمِينَ الدَّوَائِرَ والعَدَاءَ، فَهُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُم!

وأصْحَابُ هَذَا القِسْمِ: هُم أقَلُّ الشُّعْوبِ الغَرْبِيَّةِ إلَّا أنَّهُم (للأسَفِ!) أكْثَرُ القَادَةِ والرُّؤسَاءِ وصُنَّاعِ القَرَارِ في بَلادِ الغَرْبِ، بَلْ لا تَجِدُ حَرْبًا ضِدَّ المُسْلِمِينَ إلَّا وتَجِدُ قَادَةَ الغَرْبِ وراءَها

قَلْبًا وقَالِبًا، فانْظُرْهُم في تَمْكِيْنِهِم لليَهُوْدِ في أرْضِ فِلِسْطِيْنَ، وانْظُرْهُم في حُرُوبِهِم البَرْبَرِيَّةِ في أفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ والبُوسْنَةِ والهَرْسِكِ وكَشْمِيْرَ وغَيْرُهَا كَثِيْرٌ كَثِيْرٌ، كَما سَيأتي.

□ ولأصْحَابِ هَذَا القِسْمِ سَيِّئَتَانِ.

فالأوْلى: أنَّهُم مُؤْمِنُوْنَ بدِيْنِ الكَنِيْسَةِ المُحرَّفِ.

والثَّاني: أنَّهُم اتَّخذُوا دِيْنَ الإسْلامِ غَرَضًا للعَدَاءِ والكَيْدِ والحَرْبِ والقِتَالِ!

فَهُم بهَذَا قَدْ جَمَعُوا بَيْنَ اتَّخاذِ الكُفْرِ دِيْنًا وبَيْنَ تَرْكِ الإسْلامِ تَكْذِيبًا وإعْرَاضًا وحَرْبًا! فهُمُ العَدُوُّ فاحْذَرْهُم قَاتَلَهُمُ اللهُ أنَّى يُؤْفَكُوْنَ!، كَمَا قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ۝٨ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ۝١٠﴾ [التوبة: ٨-١٠].

وخُلاصَةُ مَا هُنَا؛ أنَّ أصْحَابَ هَذَا القِسْمِ هُم أشَدُّ عَدَاوَةً للمُؤْمِنِيْنَ، وأسْوَءُ أخْلاقًا مَعَ المُسْلِمينَ، وما ذَاكَ إلَّا لكَوْنِهم

قَدْ أَقْبَلُوا بقُلُوْبٍ فَارِغَةٍ وأَهْوَاءٍ بَاطِلَةٍ على دِيْنِ الكَنِيْسَةِ المُحَرَّفِ، فعِنْدَهَا نَصَبُوا العَدَاءَ للإسْلامِ والمُسْلِمِينَ! لِذَا فإنَّ غَالِبَ سِياسَةِ هَؤلاءِ تكُوْنُ خَارِجِيَّةً خِلافًا للدِّيْمُقْراطِيِّيْنَ الَّذِيْنَ تَرْتكزُ غَالِبُ سِيَاسَاتِهِم في الدَّاخِلِ.

وهَؤلاءِ يُسَمَّوْنَ: بالجَمْهُوْرِيِّيْنَ أو المُحَافِظِيْنَ!

ومَعَ هَذَا؛ فَإنَّ كَثِيْرًا مِنْ سِيَاسَاتِ الدِّيْمُقْرَاطِيِّيْنَ تُحَاكُ وتُدَارُ مِنْ خِلالِ إرَادَةِ الجَمْهُوْرِيِّيْنَ؛ لأنَّ حَقِيْقَةَ نِظَامِ وأمْنِ الدُّوَلِ الأوْرُبِّيَّةِ ـ لاسِيَّما أمْرِيْكا وانْجلْتَرا ـ قَائِمٌ على الفِكْرِ الجَمْهُوْرِيِّ النَّصْرَانيِّ، لِذَا فَإنَّ الرُّؤسَاءَ الدَّيْمُقْرَاطِيِّيْنَ لَيْسُوا في حَقِيْقَةِ الأمْرِ إلَّا أدَاةً في أيْدِي نَصَارَى الغَرْبِ المُتَعَصِّبِيْنَ!

* * *

الوَجْهُ الثَّاني: لا شَكَّ أنَّ بَعْضَ الأخْلاقِ الحَسَنَةِ مَوْجُوْدَةٌ عِنْدَ بَعْضِ الشُّعُوْبِ النَّصْرَانِيَّةِ، ولا يُنْكِرُ هَذَا إلَّا جَاهِلٌ بالوَاقِعِ، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وأمَّا قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة:٨٢].

قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ: «وقَالَ قَتَادَةُ: هُم قَوْمٌ كَانُوا على دِينِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ، فَلَمَّا رَأَوُا الْمُسْلِمِينَ وسَمِعُوا القُرْآنَ أَسْلَمُوا ولَمْ يَتَلَعْثَمُوا، واخْتَارَ ابنُ جَرِيرٍ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي صِفَةِ أَقْوَامٍ بِهَذِهِ المَثَابَةِ، سَوَاءٌ أَكَانُوا مِنَ الحَبَشَةِ أَوْ غَيْرِهَا.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى:«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا»، مَا ذَاكَ إِلَّا لأَنَّ كُفْرَ اليَهُودِ عِنَادٌ وجُحُودٌ ومُبَاهَتَةٌ لِلْحَقِّ، وغَمْطٌ لِلنَّاسِ، وتَنَقُّصٌ بِحَمَلَةِ العِلْمِ.

ولِهَذَا قَتَلُوا كَثِيرًا مِنَ الأَنْبِيَاءِ؛ حَتَّى هَمُّوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ وسَحَرُوهُ، وأَلَّبوا عَلَيْهِ أَشْبَاهَهُم مِنَ الْمُشْرِكِينَ - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ الْمُتَتَابِعَةُ - إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

... وقَوْلُهُ: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ

قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:٨٢]، أيْ: الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ نَصارَى مِنْ أَتْبَاعِ المَسِيحِ وعلى مِنْهَاجِ إنْجيلِهِ، فِيهِمْ مَوَدَّةٌ لِلإسْلَامِ وأهْلِهِ في الجُمْلَةِ، وَمَا ذَاكَ إلَّا لِمَا في قُلُوبِهِمْ، إذْ كانُوا على دِينِ المَسِيحِ مِنَ الرِّقَّةِ والرَّأفَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد:٢٧]، وفي كِتَابِهِم: «مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الأيْمَنِ فَأدِرْ لَهُ خَدَّكَ الأيْسَرَ»، ولَيْسَ القِتَالُ مَشْرُوعًا في مِلَّتِهِم؛ ولِهَذَا قَالَ تَعَالَى: «ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ»، أيْ: يُوجَدُ فِيهِمُ القِسِّيسُونَ ـ وهُمْ خُطَبَاؤُهُم وَعُلَمَاؤُهُم» انْتَهَى.

فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أنْ نَعْلَمَ: أنَّ المُفَاضَلَةَ في هَذِهِ الآيةِ بَيْنَ اليَهُوْدِ وبَيْنَ النَّصارَى لم تَكُنْ مُفَاضلةً مُطْلَقةً؛ بَلْ جَاءَ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُم على وَجْهِ التَّقْيِيْدِ، وهُوَ ما يُسَمَّى: بالتَّفَاضُلِ النِّسْبيِّ.

يُوضِّحُهُ؛ أنَّ نِسْبَةَ عَدَاوَةِ اليَهُوْدِ للمُؤمِنِيْنَ أكْبَرُ مِنْ عَدَاوَةِ النَّصارَى، وكَذَا نِسْبَةُ مَوَدَّةِ النَّصارَى للمُؤمِنِيْنَ أقْرَبُ مِنْ مَوَدَّةِ اليَهُوْدِ في الجُمْلَةِ.

ويَدُلُّ على هَذِهِ النِّسْبِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالى: «أشَدُّ النَّاسِ... وأقْرَبَهُم» الآيَةَ، فَهِي خَرَجَتْ على وَجْهِ أفْعَلِ التَّفْضِيْلِ، بمَعْنى أنَّ بَيْنَهُم مُفَاضَلَةً في العَدَاوَةِ والمَوَدَّةِ، ولَيْسَ مَعْنَاهُ مُطْلقَ النَّفي فِيْما بَيْنَهُم مِنَ المُفَاضَلَةِ.

بمَعْنَى آخَرَ؛ أنَّ المُفَاضَلةَ إذَا وَقَعَتْ بَيْنَ خَيْرَيْنِ، فعِنْدَهَا تكُوْنُ المُفَاضَلةُ بَيْنَ أجْزَاءِ الخَيْرِ دُوْنَ اعْتِبَارٍ للشَّرِّ، لِذَا فَقَدْ تَقَرَّرَ أنَّ الخَيْرَ يَتَفَاضَلُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ تَفَاضُلًا كَبِيْرًا، ومَعَ هَذَا فَهُم جَمِيْعًا على خَيْرٍ، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]

وكَذَا إذَا وَقَعَتِ المُفَاضَلةُ بَيْنَ شَرَّيْنِ، فعِنْدَهَا تكُوْنُ المُفَاضَلةُ بَيْنَ أجْزَاءِ الشَّرِّ دُوْنَ اعْتِبَارٍ للخَيْرِ، لِذَا فَقَدْ تَقَرَّرَ أنَّ الشَّرَّ يَتَفَاضَلُ بَيْنَ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى تَفَاضُلًا كَبِيْرًا، ومَعَ هَذَا فَهُم جَمِيْعًا على شَرٍّ.

كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]، فالمَغْضُوْبُ عَلَيْهِم هُمُ اليَهُوْدُ، والضَّالُّوْنَ هُمُ النَّصَارَى، وأدِلَّةُ

القُرْآنِ والسُّنَّةِ مَلِيْئَةٌ بوَصْفِ اليَهُوْدِ والنَّصارَى: بالكُفْرِ والشِّرْكِ والفِسْقِ والظُّلْمِ والجُحُوْدِ والإعْرَاضِ والتَّكْذِيْبِ والنُّكْرَانِ والخُلْفِ والعِنَادِ والكِبْرِ والشَّرِّ والفَسَادِ والعَدَاءِ... وغَيْرِهَا مِنْ صِفَاتِ الذَّمِّ والعَدَاءِ تُجاهِ الإسْلامِ والمُسْلِمِينَ.

وأكْبَرُ دَلِيْلٍ على مَا ذَكَرْنَاهُ هُنَا: هُوَ شاهِدُ التَّارِيْخِ، فمَنْ قَرأ التَّارِيْخَ عَلِمَ يَقِيْنًا أنَّ اليَهُوْدَ والنَّصارَى لم يَسْتأخِرُوا سَاعَةً وَاحِدَةً في عَدَاءِ وقِتَالِ وظُلْمِ وتَشْرِيْدِ المُسْلِمِينَ، كَما سَيأتي بَيانُه إنْ شَاءَ اللهُ!

لِذَا؛ فَقَدْ بَاتَ عِنْدَ عَامَّةِ المُسْلِمِينَ أنَّ شرَّ وعَدَاءَ اليَهُوْدِ والنَّصارَى للمُسْلِمِيْنَ ظَاهِرٌ ومُسْتَفِيْضٌ عَبْرَ التَّارِيْخِ القَدِيْمِ والحَدِيْثِ، بَلْ وُجُوْدُهُ مُنْذُ بُعِثَ النَّبيُّ ﷺ إلى يَوْمِنَا هَذَا، بَلْ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، كَما قَالَ اللهُ تَعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٨].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [البقرة: ١٠٥].

وقَوْلُهُ تَعَالى: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٧٥]، وغَيْرُهَا كَثِيرٌ جِدًّا.

* * *

الوَجْهُ الثالثُ: لَيْسَ مِنْ شَرْطِ وُجُوْدِ الشَّرِّ في بَعْضِ المَخْلُوْقَاتِ أَنْ يَكُوْنَ هَذَا المَخْلُوْقُ خَالِيًا مِنْ أَصْلِ الخَيْرِ، لأَنَّ اللهَ تَعَالى لا يَخْلُقُ شَرًّا مَحْضًا، كَما قَالَ ﷺ: «والشَّرُ لَيْسَ إِلَيْكَ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، فَهَذَا إِبْلِيْسُ اللَّعِيْنُ، الَّذِي هُوَ مَادَّةُ الشَّرِّ والفَسَادِ والظُّلْمِ إِلَّا أَنَّهُ مَعَ هَذَا لا يَخْلُو مِنْ خَيْرٍ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ مَا يَتَرَتَّبُ على أَفْعَالِهِ مِنْ تَوْبَةِ التَّائِبِيْنَ، ومَعْرِفَةِ الصَّادِقِيْنَ، وتَمْيِيْزِ المُؤمِنِيْنَ مِنَ الكَافِرِيْنَ وغَيْرِهَا مِنَ الحِكَمِ الكَثِيْرَةِ.

ومَعَ هَذَا فَنَحْنُ كَمُؤمِنِيْنَ لا نَنْظُرُ إلى مَا يَتَرَتَّبُ على بَعْضِ صُوَرِ الخَيْرِ الَّتِي هِيَ نَتَاجُ شَرِّ إِبْلِيْسَ، بَلْ نَحْنُ مُطَالَبُوْنَ باتِّخَاذِ إِبْلِيْسَ عَدُوًّا، وعَلَيْهِ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِيْذَ باللهِ مِنْهُ في كُلِّ وَقْتٍ، وأَنْ نُحَذِّرَ مِنْهُ صَبَاحَ مَسَاءَ.

فَإِذَا عُلِمَ هَذَا، كَانَ وَاجِبًا عَلَيْنَا كَمُسْلِمِيْنَ أَلَّا نَقِفَ بأَبْصَارِنَا عِنْدَ بَعْضِ الأَخْلاقِ عِنْدَ بَعْضِ رِجَالِ الغَرْبِ، بَلْ نَحْنُ مُطالَبُوْنَ باتِّخاذِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى أَعْدَاءً، وأَنْ نُحَذِّرَ مِنْهُم، لأُمُوْرٍ كَما سَيَأْتِي بَيَانُها.

كَما قَالَ تَعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [آل عمران:١١٨]

وقَالَ تَعَالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة:١٠٩].

وقَالَ تَعَالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء:٥٤]، وغَيْرُهَا كَثِيرٌ جِدًّا.

وقَالَ تَعَالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران:١١٩].

* * *

الوَجْهُ الرَّابِعُ: أنَّ مَا يُظْهِرُهُ بَعْضُ النَّصارَى مِنْ حُسْنِ أخْلاقِ هَذِهِ الأيَّامَ لم يَكُنْ أكْثَرُهُ صَادِرًا عَنْ حَقِيْقَةٍ إيْمانِيَّةٍ،

ولا نَابِعًا عَنْ عَدَالَةٍ إنْسَانِيَّةٍ، ولا حُبًّا للخَيْرِ، بَلْ كَانَتْ هَذِهِ الأخْلاقُ مِنْهُم بدَافِعِ التَّطبُّعِ الَّذِي ألِفُوهُ وتَعَوَّدُوه في بِلادِهِم.

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّ كَثِيرًا مِنْهُم قَدْ تَطبَّعَ على هَذِهِ الأخْلاقِ مِنْ خِلالِ فَرْضِ القَوَانِيْنِ الصَّارِمَةِ، والعُقُوْبَاتِ الشَّدِيْدَةِ، والأنْظِمَةِ القَاسِيَةِ في بِلادِهِم، ومِنْ هُنَا خَضَعَتْ تَعَامُلاتُهم تَحْتَ الأنْظِمَةِ الوَضْعِيَّةِ الَّتي تَعُوْدُ عَلَيْهِم بالعُقُوْبَةِ على كُلِّ مُخَالِفٍ لَدَيْهِم.

بمَعْنى أنَّ أحَدًا مِنَ النَّصَارَى لو أرَادَ أنْ يُخَالِفَ بَعْضَ هَذِهِ الأنْظِمَةِ والمُعَامَلاتِ سَوْفَ يَكُوْنُ عُرْضَةً للمُسَائَلَةِ والمُحَاكَمَةِ الَّتِي تَفْرِضُ عَلَيْهِ العُقُوْبَاتِ الجَزَائِيَّةَ، والغَرَامَاتِ الماليَّةَ، ورُبَّمَا السِّجْنَ أو القِتْلَ.

لِذَا تَجِدُ كَثِيرًا مِنْهُم مُتَقَيِّدًا بحُزْمَةٍ مِنَ الأخْلاقِ الَّتِي تَحْفَظُ لَهُ نَفْسَهُ ومَالَهُ، فمِنْ هُنَا تَظْهَرُ لَنَا حَقِيْقَةُ أخْلاقِ بَعْضِ النَّصَارَى المَزْعُوْمَةِ، وكَما قِيْلَ: إنَّ اللهَ لَيَزَعُ بالسُّلْطَانِ مَا لا يَزَعُ بالقُرْآنِ!

ويَزِيْدُ الأمْرَ وُضُوْحًا؛ هُوَ أنَّ أحَدَهُم لو أرَادَ أنْ يَكْذِبَ

أو يَغُشَّ، أو يُخالِفَ في بَيْعِهِ وشِرَائِهِ، أو في يُخَالِفَ في قَوْلِهِ وعَمَلِهِ؛ سَوْفُ يَكُوْنُ عُرْضَةً للعُقُوْبَةِ الَّتِي يُقرِّرُهَا النِّظَامُ الوَضْعِيُّ لدَيْهِم!

وكَذَا مَنْ تَعَدَّى على حَقِّ الآخَرِيْنَ (مَاليًّا أو أَخْلاقيًّا) سَوْفَ يَكُوْنُ عُرضَةً للعُقُوْبَةِ، وهَكَذَا في غَيْرِهَا مِنَ العُقُوْبَاتِ الَّتِي تَفْرِضُ على أَتْبَاعِهَا التَّقْيِيْدَ بحُسْنِ التَّعَامُلِ، لِذَا نَجِدُ الوَاحِدَ مِنْهُم إذَا وَجَدَ بَابًا مِنَ الحَيْلُوْلَةِ على النِّظَامِ بحَيْثُ يَدْفَعُ عَنْهُ العُقُوْبَةَ النِّظَامِيَّةَ؛ نَجِدُهُ والحَالَةُ هَذِهِ لا يَسْتَأْخِرُ لَحْظَةً في ارْتِكَابِ كُلِّ شَرٍّ وفَسَادٍ، بَلْ سَيَعُوْدُ وكَأَنَّهُ حَيْوَانٌ مَسْعُوْرٌ، لا ذِمَّةَ عِنْدَهُ، ولا رَحْمَةَ لَدَيْهِ، ولا صِدْقَ مَعَهُ.

لأجْلِ هَذَا؛ فَإِنَّا نَجِدُ مَكَاتِبَ المُحَماةِ في بِلادِ الغَرْبِ كَادَتْ تَفُوْقُ أكَابِرَ مُجْرِمِيْهِم عَدَدًا، كُلُّ ذَلِكَ مِنْهُم كي يَفْتَحُوا لهُم بَابَ الحَيْلُوْلَةِ، ويَسْلَمَ لهُم عِنْدَهَا نِظَامُ العُقُوْبَةِ، فبِقْدَرِ حَصَافَةِ ودَهَاءِ وتَمرُّدِ المُحَامِيْنَ على النِّظَامِ؛ تَرْتَفِعُ مَكَانَةُ المُحَامِي، وتَزْدَادُ شُهْرَتُهُ لَدَى الشُّعُوبِ الغَرْبِيَّةِ!

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّ كَثِيرًا مِنَ الشُّعُوْبِ الغَرْبِيَّةِ إِذَا أَمِنَ الوَاحِدُ

مِنْهُم العُقُوْبَةَ أَظْهَرَ حَقِيْقَةَ بَاطِنِهِ، وكَشَفَ حَقِيْقَةَ دَسَائِسِهِ وحِقْدِهِ وظُلْمِهِ وفَسَادِهِ وغَيْرِهَا مِنَ الأخْلاقِ السَّيِّئَةِ الَّتِي قَدْ تَأنَفُ مِنْهَا كَثِيْرٌ مِنَ الحَيْوَانَاتِ، ويَشْهَدُ لهَذَا المَثَلُ السَّائِرُ: مَنْ أمِنَ العُقُوْبَةَ أسَاءَ الأدَبَ!

وأدَلُّ شَيءٍ على تِلْكُمُ الأخْلاقِ السَّيِّئَةِ البَاطِنِيَّةِ، مَا حَصَلَ في بِلادِ الغَرْبِ مِنْ حُرُوْبٍ في الدَّاخِلِ والخَارِجِ.

فأمَّا الحُرُوْبُ الدَّاخِلِيَّةُ: فَهِي الحُرُوْبُ الأهْلِيَّةُ والعَالميَّةُ الَّتِي جَرَتْ بَيْنَ النَّصَارَى عَبْرَ التَّارِيْخِ؛ بحَيْثُ كَانَتْ دَمَوِيَّةً وَحْشِيَّةً؛ لا رَحْمَةَ فِيْهَا ولا شَفَقَةَ، ولا إنْسَانِيَّةَ!

ومِنْ آخِرِ هَذِهِ الحُرُوْبِ بَيْنَ الشُّعُوْبِ النَّصْرَانِيَّةِ مَا حَصَلَ في الحَرْبَيْنِ العَالمِيَّتَيْنِ، حَيْثُ كَانَتْ أكْبَرَ مِثَالٍ للوَحْشِيَّةِ والإبَادَةِ الإنْسَانِيَّةِ، حَيْثُ مُسِخَتْ مِنُهُم الأخْلاقُ وتَبَدَّدَتْ عِنْدَهُم الأحَاسِيْسُ!

وكَذَا مَا حَصَلَ بَيْنَهُم في مَدِيْنَةِ «هَايِتِي» لَمَّا ضَرَبَهَا الزِّلْزَالُ عَامَ (١٢/ ١/ ٢٠١٠م) (٢٧/ ١/ ١٤٣١هـ)؛ حَيْثُ فُقِدَ فِيْهَا الأمْنُ أيَّامًا قَلِيْلَةً، فَأصْبَحَتْ أهْلُهَا آنَذَاكَ مِثْلَ الكِلابِ

المَسْعُوْرَةِ: مَا بَيْنَ نَهْبٍ وقَتْلٍ وفَسَادٍ وإفْسَادٍ!

ومَا حَصَلَ مِنْهُم أيْضًا نَحْوَ المُسْلِمِيْنَ الأبْرِيَاءِ في الحَادِي عَشَرَ مِنْ سِبْتَمْبَر عَامَ (٢٠٠١م)، (٢٣/ ٦/ ١٤٢٢هـ)؛ حَيْثُ قَامَ كَثِيْرٌ مِنَ الشُّعُوْبِ الأمْرِيْكِيَّةِ بالتَّعَدِّي والإيْذَاءِ والضَّرْبِ لكُلِّ مُسْلِمٍ يَجِدُوْنَهُ بَيْنَهُم، ولَوْ كَانَ أُوْرُوبِّيَّ الأصْلِ!

وكَذَا مَا يَحْصُلُ دَائِمًا عِنْدَهُم: مِنْ مُضَايَقَاتٍ واسْتِهْزَاءَاتٍ ضِدَّ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ!

فقُلي برَبِّكَ: أيْنَ أخْلاقُهُم الحَسَنَةُ الَّتِي يَزْعُمُوْنَهَا؟

أمَّا الحُرُوبُ الخَارِجِيَّةُ: فَهِي الحُرُوْبُ الَّتِي أقَامَهَا النَّصَارَى ضِدَّ المُسْلِمِينَ، عَبْرَ التَّارِيْخِ؛ بحَيْثُ كَانَتْ وَصْمَةَ عَارٍ في جَبِيْنِ الإنْسَانِيَّةِ مِنْ خِلالِ إزْهَاقِ الأرْوَاحِ البَرِيَّةِ، وإظْهَارِ الحِقْدِ الدَّفِيْنِ، فَلا رَحْمَةَ عَرَفُوْهَا، ولا شَفَقَةَ احْتَرَمُوْهَا، ولا إنْسَانِيَّةَ قَدَّرُوْهَا.

وإنْ أرَدْتَ شَيْئًا مِمَّا كَسِبَتْهُ أخْلاقُ النَّصَارَى بالمُسْلِمِينَ، فدُوْنَكَ الحُرُوبَ الأخِيْرَةَ الَّتِي شَنَّتْهَا أوْرُوبَّة المُتَحَضِّرَةُ! على بِلادِ المُسْلِمِينَ تَحْتَ ما يُسَمَّى: الحُرُوْبُ الصَّلِيْبِيَّةُ!

وَمِنْ آخِرِهَا مَا نَرَاهُ ونَسْمَعُهُ ونُشَاهِدُهُ هَذِهِ الأَيَّامَ مِنْ حُرُوْبِ إبَادَةٍ ووَحْشِيَّةٍ في بِلادِ فِلِسْطِيْنَ وأَفْغَانِسْتَانَ والبُوْسنَةِ والهِرْسِك والعِرَاقِ وغَيْرِهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِينَ؛ بِحَيْثُ لم يَرْحَمُوا صَغِيْرًا ولا كَبِيرًا، ولا طِفْلًا ولا امْرَأَةً، بَلْ لم تَكُنْ لهُم مِنَ الأخْلاقِ إلَّا لُغَةُ الإبَادَةِ والقَتْلِ والتَّشْرِيْدِ!

فقُلِّي بربِّكَ: أيْنَ أخْلاقُ أوْرُوبَّة المُتَحَضِّرَةِ الَّتِي يَدَّعُوْنَهَا؟

ومِنْ خِلالِ مَا مَضَى نَسْتَطِيْعُ أنْ نَسْتَلْهِمَ حَقِيْقَةَ أخْلاقِ نَصَارَى اليَوْمِ مِنْ خِلالِ مَا يَلي:

١- أنَّ أخْلاقَهُمُ الحَسَنَةُ مَا هِيَ إلَّا أخْلاقٌ نِظَامِيَّةٌ اعْتِبَارِيَّةٌ وَقْتِيَّةٌ؛ تَقِفُ عِنْدَ العُقُوْبَاتِ، وتَرْتَفِعُ عِنْدَ فُقْدَانِها، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ الحَيْلُوْلَةِ على أنْظِمَةِ العُقُوْبَاتِ، أو عِنْدَ فُقْدَانِ الأمْنِ.

٢- أنَّ وُجُوْدَ الأمْنِ بَيْنَ الشُّعُوْبِ الأوْرُوبِّيَّة يَضْمَنُ لَهَا بَقَاءَ أخْلاقِهَا في الجُمْلَةِ، أمَّا إذَا فُقِدَ الأمْنُ بَيْنَهُم، انْقَلَبَتْ أخْلاقُهُم مِنْ نِظَامِيَّةٍ إلى ظَلامِيَّةٍ: مَا بَيْنَ نَهْبٍ وقَتْلٍ وفَسَادٍ، سَوَاءٌ في بِلادِهِم أو خَارِجِهَا.

٣- أنَّ أخْلاقَهُم لَيْسَتْ إلَّا رَهِيْنَةَ بِلادِهِم فَقَط، أمَّا إذَا خَرَجُوا مِنْ أنْظِمَةِ بِلادِهِم إلى بِلادٍ أُخْرَى لا تَتَقَيَّدُ بِنِظَامِ العُقُوْبَاتِ، ولاسِيَّما إذَا خَرَجُوا إلى بِلادِ المُسْلِمِيْنَ: فَشيءٌ تَأنَفُ مِنْهُ الحَيَوانَاتُ؛ حَيْثُ تَنْكَشِفُ عِنْدَهَا الأقْنِعَةُ الزَّائِفَةُ، لِذَا تَصِيْرُ أخْلاقُهُم حَيْوَانِيَّةً: مَا بَيْنَ كَذِبٍ وخِيَانَةٍ، ونَكْثٍ لِلعُهُوْدِ والمَواثِيْقِ، ونَهْبٍ وسَرِقَةٍ لِثَرَوَاتِ الآخَرِيْنِ، بَلْ وقَتْلٍ وإبَادَةٍ لِغَيْرِهِم مِنَ الشُّعُوْبِ الأُخْرَى!

فهَذِهِ ثَلاثُ حَقَائِقَ تُنْبِئُكَ عَنْ حَقِيْقَةِ أخْلاقِ نَصَارَى اليَوْمِ، فاحْفَظْهَا، وحَفِّظْهَا غَيْرَكَ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ!

❊ ❊ ❊

الوَجْهُ الخامسُ: أنَّ ظُهُوْرَ هَذِهِ الأخْلاقِ الحَسَنَةَ عِنْدَ بَعْضِ النَّصَارَى لم تَكُنْ على إطْلاقِهَا، بَلْ هِيَ مَوْجُوْدَةٌ عِنْدَ بَعْضِهِم لا كُلِّهِم، بخِلافِ المُسْلِمينَ فَإنَّ الأخْلاقَ السَّيِّئَةَ هِي عِنْدَ بعْضِهِم لا كُلِّهِم، والعِبْرَةُ بالكَثْرَةِ لا بالقِلَّةِ.

والعِبْرَةُ أيْضًا في أصْلِ أخْلاقِ الإسْلامِ، لا في أخْلاقِ المُسْلِمينَ، فَأصْلُ الأخْلاقِ في الإسْلامِ هِيَ أجْمَلُ وأكْمَلُ

وأَفْضَلُ وأَتَمُّ وأَعْظَمُ وأَرْوَعُ وأَصْفَى وأَطْهَرُ وأَحْسَنُ الأَخْلاقِ مُنْذُ خَلَقَ اللهُ البَشَرِيَّةَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ، ولا يُنْكِرُ هَذَا إلَّا بَغِيْضٌ حَسُوْدٌ.

وذَلِكَ بخِلافِ أصْلِ أخْلاقِ اليَهُوْدِ والنَّصَارَى مَعَ المُسْلِمِينَ، فَأَصْلُ أخْلاقِهِم الحِقْدُ والحَسَدُ والغَدْرُ والخَدِيْعَةُ والكِبْرُ والظُّلْمُ والاسْتِهْزَاءُ والقَتْلُ والظُّلْمُ... إلخ.

فكَيْفُ إذَا كَانَ أصْلُ الكُفَّارِ شَرًّا، وأصْلُ أخْلاقِهِم شرًّا؟ فَشرٌّ على شَرٍّ، وظُلْمٌ على ظُلْمٍ، كَمَا قَالَ تَعالى: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠].

وأَمَّا دَعْوَى أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَخْلاقِ المُسْلِمِينَ اليَوْمَ سِيِّئَةٌ، فلَيْسَ كَذَلِكَ، لأَنَّ المُسْلِمَ اليَوْمَ أحَدُ رَجُلَيْنِ:

إمَّا أنْ يَكُوْنَ مُسْلمًا عَارِفًا بدِيْنِهِ وأَخْلاقِهِ، وإمَّا أنْ يَكُوْنَ جَاهِلًا بدِيْنِه غَافِلًا عَنْ أخْلاقِ إسْلامِهِ.

فالأَوَّلُ مِنْهُما: هُم أهْلُ العِلْمِ وطُلَّابِهِ، وأهْلُ الصَّلاحِ والتَّقْوَى مِنَ القُضَاةِ والفُقَهَاءِ والخُطَبَاءِ والدُّعَاةِ وغَيْرِهِم، فهَؤلاءِ هُم نُجُوْمُ الأَرْضِ وزِيْنَةُ التَّارِيْخِ، ممَّنْ يُضْرَبُ بِهِمُ

المَثَلُ في الأَخْلاقِ الحَسَنَةِ، ولا شَكَّ.

وأمَّا الثَّاني مِنْهُم: فَهُم أَهْلُ الجَهْلِ مِنَ المُسْلِمِينَ، وهَؤلاءِ للأَسَفِ هُم أَكْثَرُ المُسْلِمِينَ اليَّوْمَ، لاسِيَّما مُسْلِمِي بِلادِ الهِنْدِ والسِّنْدِ وشَرْقِ آسِيَا وبِلادِ إفْرِيقِيَا السَّوْدَاءِ في الجُمْلَةِ، لِذَا كَانَتِ الأَخْلاقُ الإسْلامِيَّةُ الصَّحِيْحَةُ فِيْهِم قَلِيْلَةً، لجَهْلِهِم بدِيْنِهِم، وشِدَّةِ فَقْرِهِم، لا غَيْرَ!

والقَاعِدَةُ العَقْلِيَّةُ: هِيَ أَنَّ العِبْرَةَ بالإسْلامِ لا بالمُسْلِمِينَ، وإلَّا كَانَ هَذَا إلْزَامًا لَنَا على أَهْلِ الكُفْرِ مِنَ الأورُوبِّيِّينَ وغَيْرِهِم.

يُوَضِّحُهُ؛ أَنَّنا إذَا اتَّهمْنَا الإسْلامَ مِنْ خِلالِ جَهْلِ بَعْضِ المُسْلِمِينَ وسُوْءِ أَخْلاقِهِم، كَانَ لِزَامًا عَلَيْنَا أَنْ نتَّهِمَ دِيْنَ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّحِيْحِ، لأَنَّ أَخْلاقَ الغَرْبِ اليَّوْمَ لا تُمثِّلُ عُشْرَ مِعْشَارِ دِيْنِ النَّصْرَانِيَّةِ الَّذِي جَاءَ بِهِ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ، وهَكَذَا تَكُوْنُ القَاعِدَةُ طَرْدًا، هَذَا إذَا عَلِمْنَا أَنَّ أَكْثَرَ قَسَاوِسَةِ النَّصَارَى اليَّوْمَ هُمْ أَسْوَءُ النَّاسِ أَخْلاقًا، وأَفْسَدُهُم اعْتِقَادًا، ومَنْ أَرَادَ حَقِيْقَةَ ذَلِكَ فلْيَقْرَأ كُتُبَ: «فَضَائِحِ رِجَالِ الكَنِيْسَةِ»، ولاسِيَّما

الَّتِي أَلَّفَهَا كُتَّابُ الغَرْبِ أَنْفُسُهُم، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِم!

***

فَإِذَا أَرَدْتَ أَخِي المُسْلِمَ أَنْ تَعْرِفَ اليَوْمَ حَقِيْقَةَ أَخْلاقِ الغَرْبِ اليَوْمَ، ومَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ حَضَارَتُهُم، فانْظُرْهُم بِحَوَاسِكَ الخَمْسِ فِيْمَا يلي:

في تَحْرِيْقِ اليَابَانِ، وقَتْلِ وتَجْوِيْعِ الفِتْنَام، وإبَادَةِ شَعْبِ البُوْسنَةِ والهِرْسِك، واحْتِلالِ وقَتْلِ وتَشْرِيْدِ مَلايِيْنِ الأَفْغَانِ، واحْتِلالِ وهَلاكِ شَعْبِ العِرَاقِ، وقَتْلِ وحِصَارِ وتَشْرِيْدِ الفِلسْطِيْنِيِّيْنَ، ودَمَارِ وقَتْلِ اللَّبْنَانِيِّيْنَ، ونَهْبِ وسَرِقَاتِ ثَرَوَاتِ بِلادِ المُسْلِمينَ، وسِجْنِ المُجَاهِدِيْنَ... بَلْ كُلُّ بَلِيَّةٍ أو رَزِيَّةٍ حَلَّتْ بالبَشَرِيَّةِ اليَوْمَ فَهِي ممَّا كَسِبَتْهُ أَيْدِي الغَرْبِ الكَافِرِ، ولاسِيَّما السَّاسَةِ مِنْهُم، ورِجَالِ الكَنِيْسَةِ لدَيْهِم.

ومِنْ بَقَايَا فَضَائِحِ عُلُوْمِهِم وحَضَارَتِهِم: صِنَاعَةُ الأَسْلِحَةِ الفَتَّاكَةِ، والقَنَابِلِ المُدَمِّرَةِ، والغَازَاتِ السَّامَّةِ، والطَّائِرَاتِ والدَّبَّابَاتِ والبَارِجَاتِ العُدْوانِيَّةِ... بَلْ كُلُّ حَرْبٍ أو قِتَالٍ حَلَّ بالبَشَرِيَّةِ اليَوْمَ فَهُم صُنَّاعُهُ ومُدبِّرُوهُ!

بَلْ لم تَزَلْ عُلُوْمُهُم تَتَأَجَّجُ وتُحَاكُ في مُخْتَبَراتِهِم زِيَادَةً في صِنَاعَةِ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ، والغَازَاتِ السَّامَّةِ القَاتِلَةِ!

❊ ❊ ❊

وهُم مَعَ هَذَا التَّبجُّحِ والتَّعَاظُمِ والتَّعالي في مَعْرِفَةِ هَذِهِ العُلُوْمِ الدُّنْيَوِيَّةِ، نَجِدُهُم والحَالَةُ هَذِهِ لم يَعْرِفُوا اللهَ تَعَالى، ولم يَعْرِفُوا رَحْمَةَ الإنْسَانِيَّةِ، بَلْ نَجِدُهُم قَدْ ضَيَّعُوا حُقُوْقَ أَنْفُسِهِم وزَوْجَاتِهِم وأَبْنَائِهِم، فَضْلًا عَنْ ضَيَاعِ حُقُوْقِ غَيْرِهِم، وذَلِكَ بسَبَبِ الفَسَادِ الخُلُقِي والشُّذُوْذِ الفِكْري الَّذِي تُمَارِسُهُ أَوْرُوبَّة في مُجْتَمَعَاتها وفي شُؤونِ حَيَاتِهَا:

فالابنُ لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِنْ طُهْرِ نَسَبِهِ، والزَّوْجُ لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَصُوْنَ فِرَاشَه أو يَحْفَظَ زَوْجَتَهُ، والبِنْتُ لا تَسْتَطِيْعُ أَنْ تَحفَظَ عِفَّتَها في عُقْرِ دَارِهَا فَضْلًا عَنْ خَارِجِهِ، فالكُلُّ يحكُمُهُ نِظَامٌ وقَانُونٌ يَحْفَظُ لهُمُ التَّمرُّدَ على الأَدْيَانِ والأَخْلاقِ!

فالأَبُ لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَحْكُمَ ابْنَهُ أو ابْنَتَهُ إذَا بَلَغا السِّنَّ القَانُونيَّ (الخَامِسَةَ عَشَر)، كَما لا يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَكُوْنَ سَيِّدًا

مُطَاعًا عِنْدَ زَوْجَتِهِ، فالكُلُّ لَهُ حُرِّيَّتُهُ الخَاصَّةُ فِي الكُفْرِ والفَاحِشَةِ والفَسَادِ، فَأَيْنَ حِيْنَئِذٍ الحَضَارَةُ الأُوْرُوبِيَّةُ! وأينَ التَّقَدُّمُ العِلميُّ! بَل أينَ فُرُوْخُ الغُرْبِ عن هَذِهِ الحَقَائِقِ المَكْشُوْفَةِ!

قَالَ اللهُ تَعَالى عَنْهُم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

أَمَّا نِسْبَةُ حَالاتِ الاغْتِصَابِ والاخْتِطَافِ والسَّرِقَاتِ والقَتْلِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ جَرَائِمِ الفَسَادِ، فَشَيءٌ لا يُصَدِّقُهُ العَقْلُ، بَل لا تَعْرِفُهُ البَشَرِيَّةُ مُنْذُ أنْ خَلَقَ اللهُ الإنْسَانَ إلى يَوْمِنَا هَذَا، فنِسْبَةُ الجَرَائِمِ عِنْدَهُم لا يُسْتَطَاعُ حِسَابُها إلَّا عَنْ طَرِيْقِ لُغَةِ الأرْقَامِ، بَل إنَّ الأرْقَامَ قَدْ تَعْجزُ عَنْ حِسَابِهَا وإحْصَائِهَا، لِذَا نَجِدُهُم يَحْسِبُوْنَها في زَمَنِ الثَّانِيَةِ والدَّقِيْقَةِ، ومَنْ أرَادَ أنْ يَقِفَ على شَيءٍ مِنْ ذَلِكَ؛ فَلْيَقْرَأ الكُتُبَ الَّتِي تكَلَّمَتْ عَنْ نِسْبَةِ الجَرَائِمِ في أوْرُوبَّة، ففِيْهَا حقَائِقُ يَشِيْبُ عِنْدَهَا الوِلْدَانُ!

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا يُرْجَى مِنْهُم خَيْرٌ كَبِيرٌ، أو خُلُقٌ مُسْتَنِيرٌ!

أَمَّا انْتِشَارُ الأمْرَاضِ المُسْتَعْصِيَةِ والفَاتِكَةِ فَشَيءٌ آخَرُ

تَحارُ عِنْدَهُ العُقُوْلُ وتَعْجَزُ عِنْدَهُ المُسْتَشْفَيَاتُ العَالِمِيَّةُ والتَّقَدُّمُ الطِّبيُّ!

ومِنْ أَسَفٍ أَنَّهُم جَعَلُوا مِنْ بَعْضِ بِلادِ المُسْلِمِينَ؛ لاسِيَّما إفْرِيْقِيَا مَعْمَلًا للتَّجَارِبِ في التَّطْعِيماتِ مِنَ الإيدزِ وغَيْرِهِ مِنَ الأمْرَاضِ الخَطِيْرَةِ.

نَعَم؛ فهَذِهِ لُغَةُ الأرْقَامِ الحَقِيْقِيَّةِ الَّتِي تُصَوِّرُ لَنَا وَاقِعَ أخْلاقِ الغَرْبِ بكُلِّ فَسَادِهِ الأخْلاقِي وشُذُوْذِهِ الاجْتِماعِي، فَهَلْ مِنْ رَجُلٍ رَشِيْدٍ!

ومِنْ أعْظَمِ فَسَادِهِم، وأكْبَرِ ظُلْمِهِم، وأسْوَءِ أخْلاقِهِم: سُوْءُ أخْلاقِهِم مَعَ اللهِ تَعَالى، وسُوْءُ تَعَامُلِهِم مَعَ الأنْبِيَاءِ، ولاسِيَّما مَعَ نَبِيِّنا محَمَّدٍ ﷺ!

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا نَرْجُو مِنْهُم خَيْرًا فِيْما يدَّعُونَهُ مِنْ حُسْنِ أخْلاقٍ هَذِهِ الأيَّامَ؟ لا ولا، بَلْ حَقِيْقَةُ أخْلاقِهِم نِفَاقٌ وشِقَاقٌ، يُوَضِّحُهُ مَا سَيأتِي بيَانُهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

إنَّ حَقِيْقَةَ الأمْرِ؛ أنَّ كَثِيرًا مِنْ عَامَّةِ النَّصارَى فِيْهم حِقْدٌ على المُسْلِمِينَ، كَما فِيْهم حَسَدٌ وكِبْرٌ وازْدِراءٌ وتَحْقيرٌ

وتَجهِيلٌ بعُمُوْمِ المُسْلِمِينَ، ابْتِدَاءً بالنَّبيِّ ﷺ، وانْتِهَاءً بالعَرَبِ، ولا يُخالِفُ هَذَا إلا جَاهِلٌ أو مُعَانِدٌ.

* * *

الوَجْهُ السَّادِسُ: فَإنْ قَالَ قَائِلٌ: إنَّ الإنْسَانَ الغَربيَّ لم يَنْسَلِخْ مِنْ جَمِيْعِ الأخْلاقِ والصِّفَاتِ الحَمِيْدَةِ، بَلْ نَجِدُ في بَعْضِ رِجَالِ الغَرْبِ مِنَ الصِّفَاتِ مَا لَيْسَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ المُسْلِمِينَ هَذِهِ الأيَّامَ، مِثْلُ: الصِّدْقِ والأمَانَةِ والوَفَاءِ بالوُعُوْدِ، وعَدَمِ التَّدَخُّلِ في شُؤونِ الآخَرِيْنَ، بَلْ نَجِدُ الوَاحِدَ مِنْهُم لا يَشْتَغِلُ غَالبًا إلَّا بنَفْسِهِ وحَالِهِ وعِمْلِهِ!

قُلْتُ: لا شَكَّ أنَّ تِلْكُمُ الصِّفَاتِ الحَمِيْدَةَ الَّتِي ذَكَرْتُم مَوْجُوْدَةٌ ومَلْمُوْسَةٌ اليَوْمَ في غَالِبِ أهْلِ الكُفْرِ وأخُصُّ مِنْهُم بِلادَ أوْرُوبَّة، إلَّا أنَّنا قَدْ نَخْتَلِفُ مَعَكُم في هَذِهِ النَّظْرَةِ وهَذِهِ الدَّعْوَى في شَيءٍ مِنَ التَّفْصِيْلِ، يُوَضِّحُهُ: أنَّ الصِّدْقَ والأمَانَةَ ونَحْوَهَا ممَّا ذَكَرْتُم، لم تَكُنْ عِنْدَ رِجَالِ الغَرْبِ صِفَاتِ صِدْقٍ في نَفْسِهَا، ولا صِفَاتٍ مَحْمَدةٍ في طَبْعِهَا؛ بَلْ هِيَ أخْلاقٌ اعْتِبَارِيَّةٌ نَفْعِيَّةٌ لهَا أحْوَالُها وظُرُوْفُهَا لا يَحْكُمُهَا دِينٌ ولا مَبْدأ، اللَّهُمَّ

إنَّها وَسِيْلَةٌ لغَايَةِ عِمَارةِ الأرْضِ، وتَشْيِيْدِ حَضَارَتِهَا، وتَلْبِيَةٌ لرَغَبَاتِ النُّفُوْسِ وشَهَواتِها، لَيْسَ إلَّا.

وبمَعْنى آخَرَ: أنَّها مِنْ وَسَائلِ تَحْصِيْلِ الدِّرْهَم والدِّيْنَارِ، وتَحْقِيْقِ الشَّهَوَاتِ والمَلَذَّاتِ، وغَيْرَهَا مِنَ الأَشْيَاءِ الَّتِي يَعْبُدُونَها مِنْ دُوْنِ اللهِ تَعَالى.

وبمَعْنى آخَرَ: أنَّ الرَّجُلَ الغَربيَّ بجُمْلَةِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَحَلَّى بِهَا أشْبَهَ ما يَكُوْنُ بآلَةٍ صَمَّاءَ يُستعانُ بِهَا في الحُصُوْلِ على جَمْعِ الأمْوَالِ، وتَحْقِيقِ الشَّهَوَاتِ، شَأْنُها شَأنَ أدَوَاتِ وآلاتِ البِنَاءِ المِعْمَارِيِّ، مِثْلَ المِطْرَقَةِ والفَأسِ والمِحْرَاثِ وغَيْرِهَا مِنْ آلاتِ البِنَاءِ.

يُوَضِّحُهُ؛ أنَّكَ لَوْ أرَدْتَ أنْ تَبْنِيَ مَصْنَعًا أو بَيْتًا صَغِيْرًا، فَلا يَسْتَقِيْمُ بِنَاؤُهُ ضَرُوْرَةً إلَّا بصِدْقِ عُمَّالِهِ، وتَحرِّي أمَانَتِهِم، وإلَّا لم يَقُمْ للبَيْتِ قَائِمَةٌ، ولَوْ قَامَ (جَدَلًا) دُوْنَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لقَامَ مِعْوَجًّا لا يَثْبُتُ على أسَاسٍ، بَلْ كَانَ آيلًا للسُّقُوْطِ ولَوْ بَعْدَ حِيْنٍ، وذَلِكَ في الوَقْتِ الَّذِي لَنْ يَسْتَمِرَ صَاحِبُ البِنَاءِ والمَصْنَعِ مَعَ هَؤلاءِ العُمَّالِ، ولَنْ يَعْقِدَ مَعَهُم عَقْدًا بَعْدَ اليَوْمَ،

وعَلَيْهِ فَلَنْ يَسْتَفِيْدَ هَؤلاءِ العُمَّالُ مِنَ الأجُوْرِ الوَفِيْرَةِ، ولَنْ يَكُوْنَ لهُم بَعْدَ اليَّوْمَ عَمَلًا يَنْتَظِرُهُم عِنْدَ كُلِّ مَنْ أرَادَ البِنَاءَ، وهُوَ كَذَلِكَ.

لِذَا فمَنْ أرَادَ مِنْهُم أنْ يَحْصُلَ على الأمْوَالِ الوَفِيْرَةِ، ولاسِيَّما إذَا كَانَ عَابِدًا لهَا مُوْلعًا بِهَا؛ فعَلَيْهِ والحَالَةُ هَذِهِ أنْ يَكُوْنَ صَادِقًا في عَمَلِهِ أمِيْنًا في شُغْلِهِ، لأنَّ الصِّدْقَ والأمَانَةَ مِنْ أسَاسِيَّاتِ العَمَلِ المُتْقَنِ، وإلَّا اخْتَلَّتْ جَوَانِبُ العَمَلِ ولَوْ مِنْ وَجْهٍ، كَما عَلَيْهِ أنْ يَلْتَزِمَ بمَوَاعِيْدِ العَمَلِ وإلَّا تَأخَّرَ البِناءُ عَنْ تَمامِهِ ووَقْتِهِ المَرْجُو، فمَنِ الْتَزَمَ بهَذِهِ الصِّفَاتِ الاعْتِبَارِيَّةِ فَقَدْ أنْتَجَ عَمَلَهُ وحَازَ مَا يَرْجُوْهُ مِنْ مَالٍ يُحَقِّقُ لَهُ شَهْوَتَهُ الدُّنْيَوِيَّةَ لا غَيْرَ!

ومِنْ هُنَا؛ نَسْتَطِيْعُ القَوْلَ بأنَّ صِفَاتِ الصِّدْقِ والأمَانَةِ والوَفَاءِ بالمَوَاعِيْدِ لم تكُنْ عِنْدَ رِجَالِ الغَرْبِ صِفَاتٍ دِيْنِيَّةً مَحْمُوْدَةً في نَفْسِهَا، بَلْ هِيَ عِنْدَهُم صِفَاتٌ اعْتِبَارِيَّةٌ يَحْكُمُهَا الحَالُ والمآلُ، فَلَيْسَ مِنَ الحِفَاظِ عَلَيْهَا عِنْدَهُم إلَّا جَنْيًا للأمْوَالِ، وتَحْقِيْقًا لرَغَبَاتِهِم الشَّهْوَانِيَّةِ الَّتِي يَقْتَاتُوْنَ بِهَا في

حَيَاتِهِم الدُّنْيَا الَّتِي يَعِيْشُوْنَ ويَمُوْتُوْنَ مِنْ أَجْلِهَا.

لِذَا لم تكُنْ هَذِهِ الأَخْلاقُ عِنْدَ بَعْضِهِم: طَاعَةً لرَبِّهِم، أو اتِّبَاعًا لدِيْنِهِم، أو طَلَبًا لأجْرِ الآخِرَةِ.. بَلْ كَانَتْ طَلَبًا للدُّنْيَا، وعِبَادَةِ الدِّرْهَمِ!

❊ ❊ ❊

وثَمَّةَ دَلِيْلٌ ظَاهِرٌ يُبيِّنُ حَقِيْقَةَ هَذِهِ الدَّعْوَى الَّتِي يَتَشَدَّقُ بِهَا بَعْضُ المُسْتَغْرِبِيْنَ مِنْ أَبْنَاءِ المُسْلِمِينَ وبَعْضِ ضِعَافِ العُقُوْلِ مِنْهُم: وهِيَ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الحَسَنَةَ الَّتِي يَتَّصِفُ بِهَا بَعْضُ رِجَالِ الغَرْبِ لهِيَ وَسَائِلُ اعْتِبَارِيَّةٌ وَقْتِيَّةٌ تَزُوْلُ بزَوَالِ مُوْجِبَاتِهَا.

والدَّلِيْلُ على ذَلِكَ أَنَّك تَجِدُ الرَّجُلَ مِنْهُم إذَا مَا خَلى لَهُ الجوُّ مِنِ اعْتِبَارِ هَذِهِ الصِّفَاتِ أو بعْضِهَا تَنكَّرَ لهَا وأظْهَرَ كَذِبَهُ وخِيَانَتَهُ وسُوْءَ أخْلاقِهِ، ولا يَدُلُّكَ على هَذَا إلَّا تِلْكَ المُوْبِقَاتِ الَّتِي صَنَعَتْهَا رِجَالاتُ أوْرُوبَّة وأذْنَابِهِم مِنَ الإفْسَادِ في الأرْضِ، ومِنْ هَلاكِ الحَرْثِ والنَّسْلِ، وذَلِكَ فِيْما ارْتَكَبُوْهُ في حَقِّ البَشَرِيَّةِ جَمِيْعًا، ولاسِيَّما في حُرُوْبِهِم العَالمِيَّةِ سَوَاءٌ الأوْلى

مِنْهَا أو الثَّانِيَةُ، وفِيْما ارْتَكَبُوْهُ مِنْ جَرَائِمَ إنْسَانِيَّةٍ فِي مُعْظَمِ بِلادِ المُسْلِمِينَ، ولاسِيَّما في بِلادِ الأنْدلُسِ (أسْبَانِيَا)، ومَا فَعَلُوْهُ في المُسْلِمِينَ مِنْ محَاكِمِ التَّفْتِيْشِ المَعْرُوْفَةِ المَشْهُوْرَةِ وغَيْرَهَا ممَّا يَعْجزُ العَاقِلُ مِنْ وَصْفِهِ، ومَا يَفْعَلُوْنَهُ اليَّوْمَ في إخْوَانِنَا المُسْلِمِينَ في فِلِسْطِيْنَ وأفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وغَيْرَهَا مِنْ بِلادِ المُسْلِمِينَ، ومَا فَعَلُوْهُ في مُعْتَقَلِ «قونْتُونَامُو»، وسِجْنِ أبي غُرَيْبٍ وغَيْرِهَا مِنَ المُعْتَقَلاتِ والسُّجُوْنِ، والتَّارِيْخُ خَيْرُ شَاهِدٍ لمَنْ ألْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيْدٌ.

وقَدْ صَدَرَ مُؤخَّرًا كِتَابٌ عَنْ بَعْضِ مُفَكِّرِي الغَرْبِ العَسْكَرِيِّيْنَ تَحتَ عُنْوَانِ: «جَيْشُ القِتَالِ»؛ حَيْثُ ذَكَرَ المُؤلِّفُ مَا فَعَلَهُ الجُنُوْدُ الأمْرِيْكِيُّونَ وغَيْرُهُم مِنَ جُنُودِ النَّاتُو؛ حَيْثُ ذَكَرَ أنَّهُم جعَلُوا مِنْ قَتْلِ المُسْلِمِينَ في أفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وغَيْرِهَا لَذَّةً وشَهْوَةً ولَعِبًا، لاسِيَّما فِرْقَةِ القَنَّاصَةِ مِنْهُم، وفِرْقَةِ المُشَاةِ والبَحْرِيَّةِ وغَيْرِهَا، وقَدْ ذَكَرَ مِنْ صُوْرِ الإبَادَةِ والقَتْلِ ما تَقْشَعِرُّ مِنْهُ الجُلُوْدُ وتَتَصَدَّعُ مِنْهُ القُلُوْبُ الإنْسَانِيَّةُ، ويَصْدُقُ فِيْهُم قُوْلُ اللهِ تَعَالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

وحَسْبُكَ مَا ذَكَرَهُ مَوْقِعُ «وِكْيلِكْس»؛ حَيْثُ طَرَحَ مَلايِيْنَ الوَثَائِقِ السِّرِّيَّةِ المُتَعَلِّقَةِ برُؤسَاءِ الغَرْبِ وقَادَةِ العَسْكَرِ والجُنُوْدِ الأمْرِيكِيِّيْنَ ومُعَسْكَرِ النَّاتُو؛ حَيْثُ نَشَرَ كَثِيرًا ممَّا فَعَلَهُ رِجَالُ الغَرْبِ بإخْوَانِنَا المُسْلِمِينَ في أفْغَانِسْتَانَ والعِرَاقِ وفِلِسْطِيْنَ مَا يَنْدَى لَهُ الجَبِيْنُ!

وكَذَا مَا فَعَلَتْهُ الشَّركَاتُ العَالميَّةُ الغَرْبيَّةُ في بِلادِ الرَّافِدَيْنِ وأفْغَانِسْتَانَ وغَيْرَهَا مِنْ قَتْلٍ وتَعْذِيْبٍ وحَبْسٍ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صُنُوْفِ التَّقْتِيْلِ والتَّعْذِيْبِ، فاللهُ طَلِيْبُهُم!

* * *

أمَّا جَرَائِمُ الكَذِبِ والخِيَانَةِ عِنْدَ الرُّؤسَاءِ والشُّعُوْبِ الغَرْبيَّةِ فَشِيءٌ أشْهَرُ مِنْ أنْ يُنْكَرَ، وأظْهَرُ مِنْ أنْ يُذْكَرَ، فانْظُرْهُم في حَيَاتِهِم الاجْتِماعِيَّةِ والأُسْرِيَّةِ، وفي مُعَامَلاتِهِم السُّوْقِيَّةِ والتِّجَارِيَّةِ؛ حَيْثُ تَرَاهُم لا يَفْتَئُوْنَ يُصْبِحُوْنَ ويُمْسُوْنَ على مُوْبِقَاتِ الغِشِّ والخِيَانَةِ والرِّبَا والكَذِبِ والتَّزْوِيْرِ والرِّشْوَةِ والجَشَعِ والظُّلْمِ والبُهْتَانِ والنِّفَاقِ... ما يَعْلَمُهُ الصَّغِيْرُ قَبْلَ الكَبِيْرِ، كُلَّ ذَلِكَ تَحْتَ حِمَايَةِ النِّظَامِ الَّذِي يَحْفَظُ

لهُم هَذِهِ المُوْبِقَاتِ تَحْتَ مُسَمَّى: الرَّأسْماليَّة، أي: الحُرِّيَّةَ الاقْتِصَادِيَّةَ!

بَلْ لا أقُولُ إنَّ هَذِهِ المُوْبِقَاتِ العَظِيْمَةَ والصِّفَاتِ الذَّمِيْمَةَ هِي مِنْ شَأنِ العَامَّةِ مِنْهُم، بَلْ هِيَ مِنْ صِفَاتِ الخَاصَّةِ مِنْ عِلْيَةِ القَوْمِ، ولاسِيَّما السَّاسَةِ مِنْهُم والرُّؤسَاءِ والوُزَرَاءِ والسُّفَرَاءِ، ولَيْسَ عَنَّا بِبَعِيْدٍ ما نُشِرَ عَنْ بَعْضِ رُؤسَاءِ الغَرْبِ مِنَ العِلاقَاتِ الجِنْسِيَّةِ المَفْضُوْحَةِ، والاتِّهَامَاتِ الأخْلاقِيَّةِ، والسَّرِقَاتِ المَالِيَّةِ، ولاسِيَّما مَا ثَبَتَ عَنْ كَثِيْرٍ مِنْهُم مِنْ حَالاتٍ للكَذِبِ الصُّرَاحِ في غَيْرِ لِقَاءٍ ومَكَانٍ، لِذَا فَإنَّ حَقِيْقَةَ هَؤلاءِ الغَرْبِ أنَّهم لا للصِّدقِ صَدَقُوا، ولا للأمَانَةِ أُمِنُوا!

فَحِيْنَئِذٍ لَنَا أنْ نَقُوْلَ: إنَّ الحَضَارَةَ الأوروبِّيَّةَ السَّاحِرَةَ البَاهِرَةَ هَذِهِ الأيَّامَ؛ لَيْسَتْ هِي في الحَقِيْقَةِ إلَّا حَضَارَةً جَوْفَاءَ خَاوِيَةً مُتَهَاوِيَةَ الأرْكَانِ، لا تَحْلُو إلَّا لأصْحَابِ العُيُوْنِ العَمْيَاءِ العَمْشَاءِ، ولا تَسْتَهْوِي إلَّا أهْلَ القُلُوْبِ الضَّعِيْفَةِ الصَّمَاءِ الغَلْفَاءِ!

وقَدْ بَاتَ عِنْدَ عُقَلاءِ بَنِي آدَمَ: أنَّ الجَمالَ الظَّاهِرِيَّ

لا يَسْتَقِيْمُ بَدَاهَةً، ولا يُقْبَلُ فِطْرَةً إلَّا إذَا تَضَمَّنَ جمَالَ البَاطِنِ، وإلَّا فَلا خَيْرَ في الجَمالِ الظَّاهِرِيِّ الصُّوريِّ الَّذي يَشْتَرِكُ فِيْهِ الإنْسَانُ مَعَ الحَيَوانِ والجَمادِ، فَكُلُّ جَمَالٍ لا يَتَضَمَّنُ جَمالَ البَاطِنِ فَهُوَ وَبَالٌ على صَاحِبِهِ ونَكَالٌ على أمَّتِهِ.

وكُلُّ جَمالٍ تَلبَّسَ بِهِ رِجَالُ الغَرْبِ مُجرَّدًا عَنْ جَمالِ الأخْلاقِ وسُمُوِّهَا، فَهُوَ جَمالٌ مَصْنُوعٌ كمَصْنُوْعَاتِ النَّسيجِ والملْبُوسَاتِ!

وكُلُّ جَمالٍ تلَبَّستْ به نِسَاءُ الغَرْبِ لا يَكْسُوْهُ جَمالُ الحَيَاءِ والعَفَافِ والحِشْمةِ والأدَبِ والأخْلاقِ السَّامِيَةِ، فَهُوَ جمَالٌ مَصْنُوعٌ كمَصْنُوعَاتِ المَسَاحِيْقِ والأزْيَاءِ! فَما بَعْدَ الحَقِّ إلَّا الضَّلالُ!

❊ ❊ ❊

الوَجْهُ السَّابِعُ: أنَّ كَثِيرًا مِنْ رِجَالِ الغَرْبِ قَدْ تَطَبَّعَ على كَثِيْرٍ مِنْ هَذِهِ الأخْلاقِ الحَسَنَةِ عَنْ طَرِيْقِ ثَقَافَتِهِ الَّتِي تَلَقَّاهَا عَنِ المُسْلِمِينَ، سَوَاءٌ عَنْ طَرِيْقِ مُخالَطَتِهِ وتَعامُلِهِ مَعَ المُسْلِمِينَ في بِلادِهِم أو في بِلادِهِ، أو عَنْ طَرِيْقِ قِرَاءتِهِ لكُتُبِ

المُسْلِمِينَ، كَما هُوَ شَأنُ كَثِيْرٍ مِنْ مُفَكِّرِي النَّصارَى في بِلادِ الغَرْبِ، ممَّن لهُم اطِّلاعٌ في كُتُبِ الحَضارَاتِ؛ ولاسِيَّما الحَضارَةِ الإسْلامِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ عُلَماءِ التَّارِيْخِ عِنْدَهُم.

***

الوَجْهُ الثَّامِنُ: أنَّ بَعْضَ النَّصارَى عِنْدَهُ بقِيَّةُ رَهْبَانِيَّةٍ، وتعَلُّقٌ بنَصْرَانِيَّتِهِ، وحُبٌّ لإنْجِيْلِهِ، الأمْرُ الَّذِي يَدْفَعُهُ ضَرُوْرَةً إلى قِرَاءةِ كُتُبِ الأنَاجِيْلِ (مَتَّى ومَرْقَس ولُوْقَا ويُوْحنَّا وغَيْرَها) ممَّا يَدْفَعُهُ إلى النَّظَرِ والوُقُوْفِ على أخْلاقِ المَسِيْحِ عَلَيْهِ السَّلام: كالقَصَصِ والأخْلاقِ الطَّيِّبَةِ الحَسَنَةِ ممَّا يَجْعَلُهُ مُتَأثِّرًا بِهَا، ولو بِطَرَفٍ خَفِيٍّ.

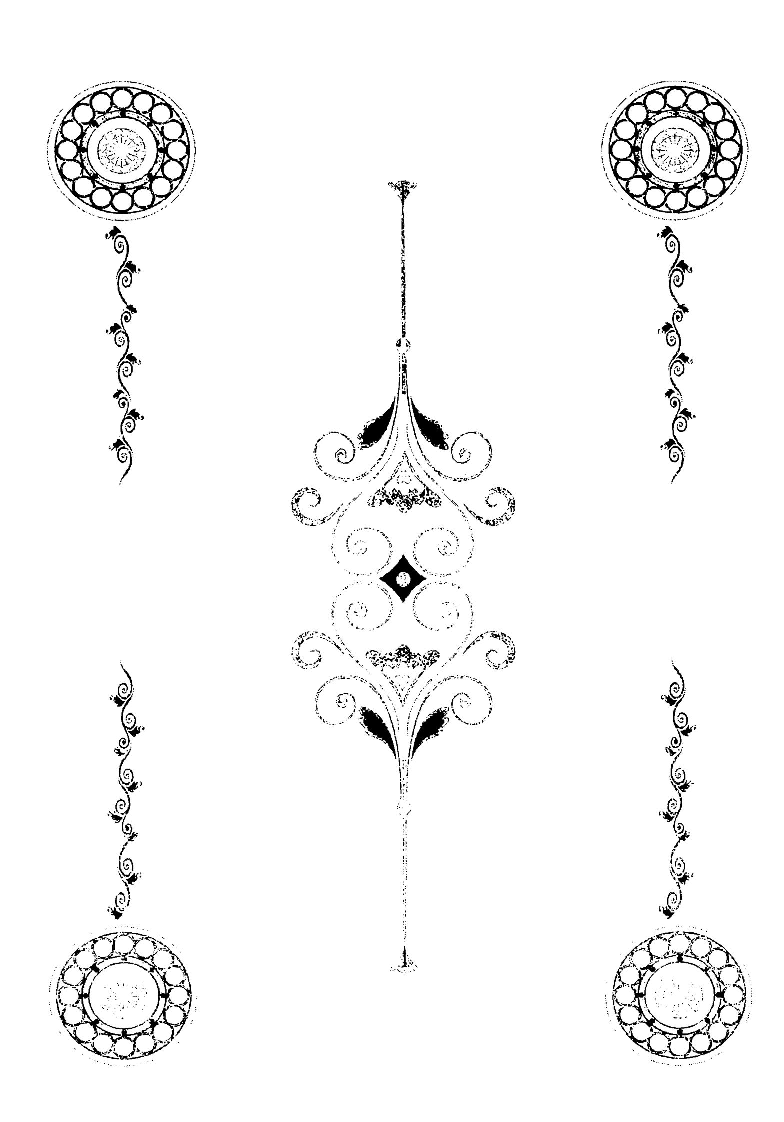
هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الأخْلاقَ الحَسَنَةَ هِي قَاسِمٌ مُشْتَركٌ بَيْنَ الأنْبِيَاءِ جَمِيْعًا، ولاسِيَّما نَبِيِّنا محَمَّدٍ ﷺ، لِذَا كَانَ الوَاجِبُ على كُلِّ مُسْلِمٍ أنْ يَكُوْنَ مُتَّبِعًا للنَّبيِّ ﷺ في عِبادَتِهِ وأخْلاقِهِ، لا أنْ يَنْظُرَ ويَقْتَدِيَ بغَيْرِهِ، ولاسِيَّما بِعُبَّادِ الصَّلِيْبِ.

حَيْثُ قَدْ سَمِعْنا مُؤخَّرًا أنَّ كَثِيرًا مِنَ المُنْهَزِمِيْنَ والمُنْبَهِرِيْنَ أمَامَ الحضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ مِنْ أبْنَاءِ المُسْلِمِينَ قَدْ

ظَنَّ بأخْلاقِ الإسْلامِ ظَنَّ السَّوْءِ؛ حَيْثُ اتَّهَم دِيْنَ الإسْلامِ بالقُصُوْرِ في التَّعَامُلِ والأخْلاقِ، كَما هُوَ ظَاهِرٌ عِنْدَ بَعْضِ المُسْتَغْرِبِيْنَ مِنْ أَبْنَاءِ المُسْلِمينَ!

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ





الفَصْلُ الثَّانِي

تَارِيْخُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» عِنْدَ كُفَّارِ الغَرْبِ(١)

بَعْدَ إسْقَاطِ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ وغِيَابِهَا عَنْ مَسْرَحِ قِيَادَةِ العَالَمِ، ظَهَرَ عِنْدَهَا الغَرْبُ الكَافِرُ بكُلِّ عُنْجُهِيَّةٍ ووَحْشِيَّةٍ كَي يَقُوْدَ البَشَرِيَّةَ بكُلِّ مَا يَمْلِكُ مِنْ جَبَرُوْتٍ واسْتِكْبارٍ مِنْ خِلالِ بَعْثِهِ للحُرُوْبِ المُسْتَمِرَّةِ؛ بحَيْثُ أصْبَحَ العَدَاءُ هُوَ الأصْلُ في تَعَامُلِ الغَرْبِ مَعَ الآخَرِيْنَ، ولاسِيَّما مَعَ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ، وبِهَذَا صَنَعَ الغَرْبُ الكَافِرُ عِلاقَتَهُ بغَيْرِهِ مُنْذُ غِيَابِ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ إلى وَقْتِنَا هَذَا.

إنَّ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» الَّتِي يَتَبَنَّاهَا الغَرْبُ في حَيَاتِهِ ومَمَاتِهِ، لَهِي مِنْ أكْبَرِ الأسْبَابِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْ رِجَالِ الغَرْبِ أدَاةَ حَرْبٍ وقِتَالٍ، لا تَعْرِفُ الرَّحْمَةَ ولا الشَّفَقَةَ ولا حَقًّا للإنْسَانِيَّةِ،

---

(١) انْظُرْ: «الغَرْبُ أصْلُ الصِّرَاعِ» لعَامِرِ بنِ عَبْدِ المُنْعِمِ، فَهُوَ مُهِمٌّ في بَابِهِ، وقَدِ اسْتَفَدْتُ مِنْهُ في هَذَا الفَصْلِ، مَعَ التَّصَرُّفِ والاخْتِصَارِ.

لِذَا لم يَقْبَلِ الغَرْبِيُّوْنَ مُنْذُ تَارِيْخِهِم إلَّا الحُرُوْبَ الوَحْشِيَّةَ، أو التَّلْوِيْحَ بِهَا تُجَاهَ الآخَرِيْنَ، ولاسِيَّما مَعَ المُسْلِمِيْنَ؛ حَيْثُ قَامُوا بشَنِّ الحُرُوْبِ المُسْتَمِرَّةِ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، نَهْبًا لثَرَوَاتِهِم، وتَمْزِيْقًا لخِلافَتِهِم إلى دُوَيْلاتٍ مُتَنَاثِرَةٍ مُتَنَاحِرَةٍ!

***

فَقَدْ أكَّدَ مُؤَرِّخُو حَضَارَاتِ البَشَرِيَّةِ أنَّهُ لا تُوْجَدُ حَضَارَةٌ سَعَتْ إلى إفْنَاءِ واسْتِئْصَالِ الحَضَارَاتِ الأُخْرَى مِثْلَمَا فَعَلَتِ الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ اليَوْمَ، فقَدْ جَعَلَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ»: الغَرْبَ في مُوَاجَهَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ مَعَ بَاقِي سُكَّانِ الأرْضِ، وقَدْ تَطَوَّرَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» عَبْرَ تَارِيْخِ الغَرْبِ؛ بحَيْثُ أخَذَتْ أبْعَادًا مُخْتَلِفَةً، وتَلَوَّنَتْ بألْوَانٍ شَتَّى، عَبْرَ ثَلاثِ مَرَاحِلَ مُخْتَلِفَةٍ.

حَيْثُ لَعِبَتْ كُلُّ مَرْحَلَةٍ دَوْرًا في نَشْرِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، ابْتِدَاءً بالحَضَارَةِ الإغْرِيْقِيَّةِ، ثُمَّ مُرُوْرًا بالحَضَارَةِ الرُّوْمَانِيَّةِ، ثُمَّ انْتِهَاءً بالحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ الحَدِيْثَةِ الَّتِي لم تَزَلْ تَلْعَبُ دَوْرًا في نُشُوْبِ الصِّرَاعَاتِ بَيْنَ الحِيْنِ والآخَرِ، ولاسِيَّمَا في بِلادِ المُسْلِمِيْنَ، تَحْتَ نَظَرِيَّةِ: الحَرْبِ العَادِلَةِ، الَّتِي سَوَّغَتْ لَهُم

كُلَّ جَرَائِمِ الحَرْبِ والنَّهْبِ، مِنْ إبَادَاتٍ جَمَاعِيَّةٍ، وصِرَاعَاتٍ مُدَمِّرَةٍ مِمَّا سَيأتِي ذِكْرُهُ إنْ شَاءَ اللهُ.

فَقَدْ أكَّدَتْ أسَاطِيْرُ الإغْرِيْقِ أصْحَابِ أقْدَمِ حَضَارَةٍ أُوْرُوْبِّيَّةٍ: أنَّ الصِّرَاعَ مَعَ الآخَرِ يُعْتَبَرُ عَقِيْدَةً لا تَقْبَلُ المُنَاقَشَةَ فِيْهَا، أو التَّرَاجُعَ عَنْهَا، وكأنَّهُم لا يَعْرِفُوْنَ غَيْرَ القِتَالِ والتَّعَارُكِ، وحَتَّى عِنْدَمَا تَحَدَّثُوا عَنِ مَعَانِي الحُبِّ نراهم لا يَعْرِفُوْنَ مِنْهُ سِوَى خَطْفِ زَوْجَةِ أحَدِ المُلُوْكِ، والَّذِي تَرَتَّبَتْ عَلَيْهِ حُرْبُ طَرْوَادَةَ الشَّهِيْرَةِ.

لم تَخْتَلِفْ الحَضَارَةُ الغَرْبِيَّةُ الحَدِيْثَةُ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا، بَلْ زَادَتْ وَحْشِيَّةً، وسَاقَهَا حُبُّ الصِّرَاعِ إلى الدُّخُوْلِ في أعْنَفِ حُرُوْبٍ يَشْهَدُهَا تَارِيْخُ البَشَرِيَّةِ، كَانَ نُزُوْلُ الرَّجُلِ الأبْيَضِ إلى أرْضِ الأمْرِيْكِيَّتَيْنِ بِدَايَةً لأكْبَرِ مَذْبَحَةٍ ضِدَّ الإنْسَانِيَّةِ؛ حَيْثُ أُبِيْدَتْ أُمَمٌ وشُعُوْبٌ مِنَ الهُنُوْدِ الحُمْرِ، ولا يَزَالُ العَالَمُ يَئِنُّ مِنْ حُرُوْبِ الغَرْبِ المُتَوَاصِلَةِ حَتَّى اليَوْمَ، لاسِيَّما في حَقِّ المُسْلِمِيْنَ.

ونَحْنُ وغَيْرُنا نَقْصِدُ بدُوَلِ الغَرْبِ هُنَا: دُوَلَ أُوْرُوْبَّة،

وأمْرِيْكَا، وكَنَدَا، واسْتُرَالِيَا، ونِيُوزْلَنْدَا...ومَعَ هَذَا فَإنَّ دُوَلَ أُوْرُوْبَّة النَّصْرَانِيَّةِ الَّتِي تَهَيْمِنُ على العَالَمِ لا تَزِيْدُ عَنْ (٥ ,١٣٪)، مِنْ مَجْمُوْعِ سُكَّانِ الأرْضِ.

وهَذِهِ نَظْرَةٌ سَرِيْعَةٌ في تَارِيْخِ الحَضَارَاتِ الأُوْرِوبِّيَّةِ الغَرْبِيَّةِ باخْتِصَارٍ.

* * *

☐ الإغْرِيْقُ:

نَشَأتْ حَضَارَةُ الإغْرِيْقِ الَّتِي تُعَدُّ أصْلَ الحَضَارَاتِ الأُوْرُوْبِّيَّةِ مُنْذُ مَا يُقَارِبُ (٣٠٠٠) سَنَةً، على «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، ومَنْ يَقْرَأُ «الإلْيَاذة»، و«الأُوْدِيسَا» يَعْلَمُ حَقِيْقَةَ الأسَاطِيْرِ والخُرَافَاتِ الَّتِي نَشَأتْ مَعَ الحَضَارَةِ الإغْرِيْقِيَّةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ تَصَوُّرَاتِهِم البَاطِلَةِ تُجاهَ تَصَارُعِ الآلِهَةِ المَزْعُوْمَةِ، وانْقِسَامِهِم إلى فَرِيْقَيْنِ:

فَرِيْقٌ مِنْهُمَا مَعَ الإغْرِيْقِ، والفَرِيْقُ الآخَرُ مَعَ الطَّروَادِ، ومِنْ هُنَا سَاهَمَتِ الأسَاطِيْرُ الإغْرِيْقِيَّةُ بشَكْلٍ كَبِيْرٍ في غَرْسِ رُوْحِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» في الحَضَارَاتِ القَدِيْمَةِ الكَافِرَةِ.

❑ الرُّوْمَانُ:

بَعْدَ انْحِسَارِ التَّأْثِيْرِ الحَضَارِي للإِغْرِيْقِ، ظَهَرَ الرُّوْمَانُ، وتُعْتَبَرُ الإِمْبَراطُوْرِيَّةُ الرُّوْمَانِيَّةُ مِنْ أَكْثَرِ الإِمْبِرَاطُوْرِيَّاتِ الَّتِي لَعِبَتْ دَوْرًا هَامًّا في التَّارِيْخِ الأُوْرُوبِّي، وكَانَ لَهَا تَأْثِيْرُهَا على العَالَمِ آنَذَاكَ، وكَانَتْ هَذِهِ الإِمْبَراطُوْرِيَّةُ أَوَّلَ مَنْ بَدَأَ الحُرُوْبَ الاسْتِبَاقِيَّةِ، والتَّوَسُّعَ على حِسَابِ بَاقِي سُكَّانِ الأَرْضِ.

كَانَتْ القُوَّةُ العَسْكَرِيَّةُ الغَرْبِيَّةُ وَرَاءَ الانْدِفَاعِ والسَّيْطَرَةِ على مَسَاحَاتٍ شَاسِعَةٍ حَوْلَ البَحْرِ المُتَوَسِّطِ شَمَالًا وجَنُوْبًا وشَرْقًا، و«تُعَدُّ الإِمْبِرَاطُوْرِيَّةُ الرُّوْمَانِيَّةُ أَكْبَرَ دَوْلَةٍ اسْتِعْمَارِيَّةٍ في التَّارِيْخِ القَدِيْمِ، فَقَدْ بَدَأَتْ رُوْمَا تَوَسُّعَهَا في مَا وَرَاءَ البِحَارِ نَحْوِ (٢٦٤ق.م)، وفي أَوْجِ مُجْدِهَا كَانَتْ الإِمْبِرَاطُوْرِيَّةُ الرُّوْمَانِيَّةُ تَمْتَدُّ مِنْ شَمَالِي بِرِيْطَانِيَا إلى البَحْرِ الأَحْمَرِ والخَلِيْجِ العَرَبي».

اضْطَهَدَ الرُّوْمَانُ: المَسِيْحِيِّيْنَ لفَتَرَاتٍ طَوِيْلَةٍ، وعِنْدَمَا اعْتَنَقَ الرُّوْمَانُ النَّصْرَانِيَّةَ حَدَثَ تَحَوُّلٌ في المَسِيْحِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، إِذْ تَغَيَّرَتِ الدِّيَانَةُ الَّتِي كَانَتْ في أَصْلِهَا دَاعِيَةً للسَّلامِ إلى دِيَانَةٍ

تُسَوِّغُ العُدْوَانَ والصِّرَاعَ، باسْمِ: الحُرُوْبِ الاسْتِبَاقِيَّةِ!

فَقَدِ اسْتَطَاعَ القِسِّيْسُ «أُوغَسْطِين» أنْ يَدْمِجَ بَيْنَ الدِّيْنِ والسُّلْطَةِ الحَاكِمَةِ في القَرْنِ الخَامِسِ المِيْلادِي، وأعْطَى الحَقَّ للإمْبِرَاطُوْرِ في شَنِّ الحُرُوْبِ، بدَعْوَى تَحْقِيْقِ السَّلامِ، تَحْتَ مُسَمَّى: «الحَرْبِ العَادِلَةِ»، الَّذِي أصْبَحَ فِيْمَا بَعْدُ: الدَّافِعَ وَرَاءَ حُرُوْبِ الغَرْبِ تُجَاهَ العَالَمِ، وحَتَّى الآنَ!

وباسْمِ هَذِهِ «الحَرْبِ العَادِلَةِ» (المُقَاتِلَةِ): تَعَرَّضَتْ أُمَمٌ وشُعُوْبٌ للقَتْلِ والإبَادَةِ. انْظُرْ: «المَوْسُوْعَةَ العَرَبِيَّةَ العَالَمِيَّةَ».

* * *

◻ عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ، والمَسِيْحِيَّةُ المُحَرَّفَةُ:

كَانَ لاعْتِنَاقِ الرُّوْمَانُ النَّصْرَانِيَّةَ تَأْثِيْرُهُ في عَسْكَرَةِ المَسِيْحِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وإحْدَاثِ تَحَوُّلٍ كَبِيْرٍ في الدِّيَانَةِ المُسَالِمَةِ إلى تَسْوِيْغِ شَنِّ الحُرُوْبِ الظَّالِمَةِ.

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ الشُّعُوْبَ النَّصْرَانِيَّةَ المُتَنَصِّرَةَ في بِدَايَةِ أمْرِهَا لم تَقْبَلْ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ»، لكَوْنِهَا الْتَزَمَتْ تَعَالِيْمَ

النَّصْرَانِيَّةِ الدَّاعِيَةِ للسَّلام، والكَارِهَةِ للحَرُوْب، الأمْرُ الَّذِي جَعَلَ السُّلْطَةَ الرُّوْمَانِيَّةَ تَقِفُ أمَامَ هَذِهِ المُشْكِلَةِ بشَيءٍ مِنَ الخِدَاعِ والمَكْرِ، «لذَلِكَ كَانَ طَبِيْعِيًّا أنْ يَرْفُضَ الرُّوْمَانُ الَّذِيْنَ دَخَلُوا المَسِيْحِيَّةَ في المَرَاحِلِ الأُوْلى أنْ يَقُوْمُوا بأدَاءِ الخِدْمَةِ العَسْكَرِيَّةِ في رُوْمَا، وأنْ يَنْخَرِطُوا في الجَيْشِ الرُّوْمَاني، أو أنْ يَشْتَرِكُوا في الحُرُوْبِ الَّتِي كَانَتْ تَشُنُّهَا الإمْبرَاطُوْرِيَّةُ الرُّوْمَانِيَّةُ، وعلى إثْرِ ذَلِكَ قَامَ صِرَاعٌ عَنِيْفٌ بَيْنَ دُعَاةِ المَسِيْحِيَّةِ المُسَالِمَةِ، ورِجَالِ الحُكْمِ في رُوْمَا.

لم يَكُنْ سَهْلًا أنْ يَتَرَاجَعَ رِجَالُ الدِّيْنِ عَنْ مُعْتَقَدَاتِهِم أمَامَ ضُغُوْطِ الأبَاطِرَةِ الرُّوْمَان خَاصَّةً مَعَ الفَصْلِ الَّذِي كَانَ مَوْجُوْدًا بَيْنَ السُّلْطَةِ والكَنِيْسَةِ، ومَعَ شُيُوْعِ قِيَمِ الزُّهْدِ والرُّوْحَانِيَّةِ.

لكِنْ مَعَ الوَقْتِ بَدَأ رِجَالُ الدِّيْنِ المَسِيْحِي يَتَقَهْقَرُوْنَ، حَتَّى جَاءَ القِدِّيْسُ «ايْزِيْدُور»، والقِدِّيْسُ «امْبرْوار» فأخْرَجَا بَعْضَ النَّظَرِيَّاتِ في هَذَا الشَّأنِ، على أنَّ الدَّاعِيَةَ الَّذِي كَانَ لَهُ الأثَرُ الحَاسِمُ في إيْجَادِ هَذَا التَّوْفِيْق هُوَ القِدِّيْسُ «أُوْغَسْطِين»

الَّذِي أَخْرَجَ فِي هَذَا الشَّأْنِ مُؤَلَّفَيْنِ، أَوَّلُهُمَا هُوَ: «العَقِيْدَةُ المُخَالِفَةُ»، والثَّانِي هُوَ: «مَدِيْنَةُ الرَّبِّ».

جَاءَ هَذَا الانْقِلابُ مِنْ دِيَانَةٍ مُتَسَامِحَةٍ إلى دِيَانَةٍ مُحَارِبَةٍ؛ نَتِيْجَةَ رَغْبَةٍ مِنَ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ للإمْبِرَاطُوْرِيَّةِ، واجْتِهَادٍ مِنَ الكَنِيْسَةِ الَّتِي رَأَتْ الحُرُوْبَ وَسِيْلَةً لإقَامَةِ مَمْلَكَةِ الرَّبِّ فِي الأرْضِ.

كَانَ تَطَابُقُ تَأْيِيْدِ الكَنِيْسَةِ للحُرُوْبِ ورَغْبَةِ رِجَالِ الحُكْمِ لَهُ أَثَرٌ فِي تَرْسِيْخِ اسْتِخْدَامِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ لفَرْضِ الهَيْمَنَةِ، ورَبْطِ هَذَا التَّوَجُّهِ بالعَقِيْدَةِ الدِّيْنِيَّةِ. انْظُرْ: «أحْكَامُ القَانُوْنِ الدُّوَلِي» (١٠٢) لحَامِد سُلْطَانَ.

كَانَ للقِدِّيْسِ «أُوْغَسْطِين» القُدْرَةُ على التَّجَرُّؤ وكَسْرِ التَّعَالِيْمِ مِنْ خِلالِ دَمْجِهِ بَيْنَ النَّقِيْضَيْنِ: السُّلْطَةِ والكُنَيْسَةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ شَخْصِيَّتِهِ القَوِيَّةِ، ومَكَانَتِهِ الدِّيْنِيَّةِ آنَذَاكَ.

هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ مَا طَرَحَهُ «أُوْغَسْطِين» مِنَ نَظَرِيَّةِ الدَّمْجِ كَانَ خُضُوْعًا لرَغْبَةِ الحُكَّامِ الرُّوْمَانِ، الأمْرُ الَّذِي لم يَلْقَ عِنْدَهُ مُعَارَضَةً كَبِيْرَةً مِنْ رِجَالِ الدِّيْنِ بسَبَبِ الخَوْفِ وَقْتَئِذٍ، ويَبْدُو

أَنَّ هَذَا الدَّمْجَ المُفْتَعَلَ قَدْ وَجَدَ قَبُوْلًا تَحْتَ ضَغْطِ الهَجَمَاتِ الَّتِي تَعَرَّضَتْ لَهَا الإِمْبِرَاطُوْرِيَّةُ آنَذَاكَ.

«فَقَدْ هَاجَمَ الوَانْدَال، والقُوْطُ الغَرْبِيُّوْنَ، وشُعُوْبُ جِرْمَانِيَة أُخْرَى، كُلًّا مِنْ أَسْبَانِيَا، والغَال، وشَمَالي أَفْرِيْقِيَا، ونَهْبَ القُوْطُ الغَرْبِيُّوْنَ مَدِيْنَةَ «رُوْمَا» سَنَةَ (٤١٠ م).

ومُنْذُ ظُهُوْرِ مُصْطَلَحِ: «الحَرْبِ العَادِلَةِ» بَاتَ الغَرْبُ يَدْمِجُ المَشْرُوْعِيَّةَ الزَّائِفَةَ فِي شَنِّ الحُرُوْبِ، وتَسْوِيْغِ العُدْوَانِ، لِهَذَا اجْتَهَدَ قَادَةُ ومُنَظِّرُو الغَرْبِ عَبْرَ العُصُوْرِ لتَقْدِيْم تَصَوُّرَاتٍ للحَرْبِ العَادِلَةِ، ووَضْعِ شُرُوْطٍ لِهَا؛ لإِعْطَاءِ أَبْعَادٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وإِعْطَاءِ مَشْرُوْعِيَّةٍ تُسَوِّغُ الانْخِرَاطَ فِيْهَا.

لكِنَّ الحُكُوْمَاتَ الأُوْرُوْبِّيَّةَ لم تَنْظُرْ إلى هَذِهِ الشُّرُوْطِ قَبْلَ شَنِّ حُرُوْبِهَا، كَمَا أَنَّ الشُّرُوْطَ لم تَتَحَقَّقْ فِي جَمِيْعِ حُرُوْبِ الغَرْبِ، فَكُلُّ الحُرُوْبِ الَّتِي أَشْعَلَهَا الغَرْبِيُّوْنَ اعْتُبِرَتْ عَادِلَةً!

وباسْمِ العَدَالَةِ: تَقَاتَلَ الغَرْبِيُّوْنَ أَنْفُسُهُم، وأَرَاقُوا دِمَاءَ بَعْضِهِم بَعْضًا، فَضْلًا عَنْ قِتَالِ وإِبَادَةِ الآخَرِيْنِ!

* * *

□ القِتَالُ مَعَ الأشِقَّاءِ:

ذَاقَ الأُوْرِوُبِيُّوْنَ بَسَبَبِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» الوَيْلاتِ، فَقَدْ قَتَلَ بَعْضُهُم بَعْضًا، وسَفَكُوا دِمَاءَهُم بأيْدِيْهِم، وشَرَّدَ بَعْضُهُم بَعْضًا، وتَغَيَّرَتِ الحُدُوْدُ السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَهم مِرَارًا بِفِعْلِ الحُرُوْبِ العَادِلَةِ ـ زَعَمُوا ! ـ، فَلَمْ تَشْهَدْ مَنْطَقَةٌ حُرُوْبًا اسْتَمَرَّتْ عُقُوْدًا مِنَ الزَّمَنِ، ومَاتَ فِيْهَا مَلايِيْن البَشَرَ غَيْرَ بِلادِ أوْرُوبَّة.

إنَّ الحُرُوْبَ بَيْنَ الأُمَمِ الأُوْرُوْبِيَّةِ تَفُوْقُ الوَصْفَ في بَشَاعَتِهَا، «فَقَدْ شَهِدَ التَّارِيْخُ الأُوْرُوبِّي حُرُوْبًا اسْتَمَرَّتْ عَشَرَاتِ السِّنِيْنَ، والأمْثِلَةُ كَثِيْرَةٌ، فمِنْ أبْرَزِهَا مَا حَدَثَ عَقِبَ مَوْلِدِ حَرَكَاتِ الإصْلاحِ الدِّيْنِي الَّتِي أسَّسَهَا «مَارْتِن لُوْثَر»، فَقَدْ «أدَّى مَوْلِدُ البُرُوتِسْتَانِتية في مَطْلَعِ القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ المِيْلادِي (أيْ: مَطْلَع القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ الهِجْرِي)، إلى الحَرْبِ بَيْنَ الكَاثُوْلِيْك والبُرُوتُسْتانَت لأكْثَرَ مِنْ مَائةِ عَامٍ، ولا يَزَالُ شُعُوْرُ الكَرَاهِيَّةِ يَسُوْدُ بَيْنَ الكَاثُوْلِيْك والبُرُوتُسْتانَت مِنْ أوْرُوبَّة.

فَعَلى سَبِيْلِ المِثَالِ، أدَّى الصِّرَاعُ بَيْنَ الكَاثُوْلِيْك

والبُرُوتُسْتانَت في أيرْلَنْدَا الشَّمالِيَّةِ إلى كَثِيرٍ مِنْ أعْمَالِ العُنْفِ في المَنْطَقَةِ مُنْذُ السِّتِّيْنِيَّاتِ مِنَ القَرْنِ العِشْرِيْنِ». انْظُرْ: «المَوْسُوْعَة العَرَبِيَّة العَالَمِيَّة».

كَمَا اسْتَمَرَّتْ حَرْبُ المَائَةِ عَامٍ (١٣٣٧ـ١٤٥٣م)، (٧٣٧ـ ٨٥٦هـ) بَيْنَ انْجِلْتِرَا وفِرَنْسا على مَدَى عُهُوْدِ حُكْم خَمْسَةِ مُلُوْكٍ انْجِلْتِرَا وخَمْسَةِ مُلُوْكٍ فِرِنْسِيِّيْنَ، وكَانَ القَرْنُ العِشْرُوْنَ (أيْ: القَرْنُ الخَامِسَ عَشَرَ الهِجْرِيُّ) أكْثَرَ القُرُوْنِ دَمَوِيَّةٍ إذْ قُتِلَ المَلايِيْنَ مِنَ الأُوْرُوْبِيِّيْنَ في حَرْبَيْنِ عَالَمِيَّتَيْنِ بِسَبَبِ نَمُوِّ النِّزَاعَاتِ القَوْمِيَّةِ والدِّيْنِيَّةِ فَقَدْ أسْفَرَتِ الحَرْبُ العَالَمِيَّةُ الأُوْلى (١٩١٤ـ١٩١٨م)، (١٣٣٢ـ ١٣٣٦هـ) عَنْ قَتْلِ عَشَرَةِ مَلايِيْن جُنْدِيٍّ مِنَ الدُّوْلِ الَّتِي خَاضَتِ الحَرْبَ، وأُصِيْبَ عُشْرُوْنَ مِلْيُوْن آخَرِيْنَ.

وفي الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الثَّانِيَّةِ سَقَطَ أكْبَرَ عَدَدٍ مِنَ القَتْلى يَعْرِفُهُ تَارِيْخُ الحُرُوْبِ، فَقَدْ نَتَجَ عَنِ القِتَالِ بَيْنَ الأُوْرُوبِيِّيْنَ في هَاتَيْنِ الحَرْبَيْنِ مَوْتَ المَلايِيْنَ مِنَ البَشَرِ، وتُشِيْرُ مُعْظَمُ التَّقْدِيْرَاتِ إلى مَقْتَلِ اثْنَيْنَ وسِتِّيْنَ مِلْيُوْن إنْسَانٍ تَقْرِيْبًا، وقَدِ

اسْتُخْدِمَتْ جَمِيْعُ أَنْوَاعِ أَسْلِحَةِ الحُرُوْبِ والدَّمَارِ فِي هَذِهِ الحَرْبِ البَرْبَرِيَّةِ الوَحْشِيَّةِ.

وكَانَ إِحْدَاثُ أَكْبَرِ قَدْرٍ مِنَ التَّدْمِيْرِ هَدَفَ الفَرِيْقَيْنِ المُقَاتِلَيْنِ، وكَانَ المَوْتُ والخَرَابُ سِمَةً مُمَيَّزَةً لِهَذَا التَّصَادُمِ، وبَعْدَ الحَرْبِ تَشَرَّدَ مَلايِيْنٌ مِنَ المُعَاقِيْنَ والجِيَاعِ، والَّذِيْنَ لا مَأْوَى لَهُم. انْظُرْ: «المَوْسُوْعَةَ العَرَبِيَّةَ العَالَمِيَّةَ».

***

ومَعَ هَذِهِ الحُرُوْبِ الَّتِي عَرَفَتْهَا أَوْرُوبَّة إِلَّا أَنَّ الرَّجُلَ الأبْيَضَ عِنْدَمَا خَرَجَ مِنَ القَارَّةِ الأُوْرُوْبِّيَّةِ، بِصِرَاعَاتِهَا وتَارِيْخِهَا التَّصَادُمِيِّ الدَّامِي لم يَتْرُكْ حُبَّ الصِّرَاعِ خَلْفَ ظَهْرِهِ، ولم يَتَخَلَّصْ مِنَ الرُّوْحِ العُدْوَانِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ فِي «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، بَلْ حَمَلَ مَعَهُ عَقِيْدَتَهُ العُدْوَانِيَّةَ إلى العَالَمِ الجَدِيْدِ، بَلْ كَانَ ـ للأسَفِ!ـ أَكْثَرَ شَرَاسَةً، وأَشَدَّ عُدْوَانِيَّةً؛ حَيْثُ ظَهَرَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» لَدَيْهِ بِكُلِّ وُجُوْهِهَا البَشِعَةِ!

***

□ انْتِقَالُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» إلى العَالَمِ الجَدِيْدِ:

إنَّ إقَامَةَ المَدَنِيَّةِ الفَاضِلَةِ والمُتَحَضِّرَةِ الَّتِي كَانَ يُنَادِي بِهَا الأُوْرُوْبِيُّوْنَ الَّذِيْنَ هَاجَرُوا إلى أمْرِيْكَا لم تَكُنْ في حَقِيْقَتِهَا إلَّا دَعْوَى زَائِفَةً؛ حَيْثُ كَانُوا أكْثَرَ شَرَاسَةً مِنْ أسْلافِهِم، يَوْمَ ضَرَبُوا للبَشَرِيَّةِ أسْوَأ مِثَالٍ في العَدَاوَةِ وإرَاقَةِ الدِّمَاءِ واسْتِئْصَالِ الآخَرِيْنَ، فَقَدْ هَاجَرَ «المُتَطَهِّرُوْنَ مِنَ الإنْجِلِيْزِ الأوَائِلِ إلى الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ حَامِلِيْنَ مَعَهُم العَقِيْدَةَ الأكْثَرَ دَمَوِيَّةً في تَارِيْخِ البَشَرِيَّةِ، ومُسَلَّحِيْنَ بفِكْرَةِ: «الشَّعْبِ المُخْتَارِ»، مُقَنِّنِيْنَ فِكْرَةَ الإبَادَةِ، وكَأنَّهَا حَسَبَ رِوَايَتِهِم إلَهِيَّةٌ»! انْظُرْ: «أمْرِيْكا طَلِيْعَةُ الانْحِطَاطِ» لرُوْجِيْه جَارُوْدِي (٤٩).

عِنْدَمَا وَصَلَ المُهَاجِرُوْنَ الأُوْرِوبِيُّوْنَ إلى أرْضِ أمْرِيْكَا الجَدِيْدَةِ، ظَهَرَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» العُدْوَانِيَّةُ نَحْوَ الهُنُوْدِ الحُمْرِ السُكَّانِ الأصْلِيِّيْنَ بكُلِّ صُوَرِهَا البَشِعَةِ؛ حَيْثُ تَمَّ إبَادَةُ المَلايِيْن مِنَ الهُنُوْدِ الحُمْرِ، وتَمَّ إفْنَاؤُهُم بالجُمْلَةِ في أكْبَرِ مَذْبَحَةٍ عَرَفَهَا التَّارِيْخُ القَدِيْمُ والحَدِيْثُ، وكَانَتْ نَشْأةُ أمْرِيْكَا ـ في ذَاتِهَا ـ مَثَلًا مُعَبِّرًا عَنِ الرُّوْحِ العُدْوَانِيَّةِ الاسْتِئْصَالِيَّةِ الَّتِي

جَاءَ بِهَا المُهَاجِرُوْنَ الغَرْبِيُّوْنَ الأوَائِلُ الَّذِيْنَ تَرَكُوا أوْرُوبَّة إلى الوَطَنِ الجَدِيْدِ، وأقَامُوا دَوْلَتَهُم على أسَاسِ إفْنَاءِ الآخَرِ، وإنْهَاءِ وُجُوْدِهِ.

❊ ❊ ❊

▢ فِكْرَةُ الإبَادَةِ:

مَا تَعَرَّضَ لَهُ الهُنُوْدُ الحُمْرُ مِنَ مَذَابِحَ على يَدِ الرَّجُلِ الأبْيَضِ يُوَضِّحُ جَانِبًا مُظْلِمًا في الشَّخْصِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، فَالأُمَّةُ الهِنْدِيَّةُ تَعَرَّضَتْ لحُرُوْبِ الإبَادَةِ الجَمَاعِيَّةِ الَّتِي لم يَشْهَدْ لَهَا التَّارِيْخُ مَثِيْلًا؛ حَيْثُ شَارَكَ مُعْظَمُ الأُوْرُوبِّيُّوْنَ في هَذِهِ المَذَابِحِ الَّتِي لَوَّنَتِ الأرْضَ الأمْرِيْكِيَّةَ بلَوْنِ الدَّمِ، فهَذِهِ القَارَّةُ تَعَرَّضَتْ لاجْتِيَاحَاتٍ أفْنَتْ مُعْظَمَ شُعُوْبِهَا، ودَمَّرَتْ حَضَارَتَهَا، وأمْرِيْكَا الَّتِي نَرَاهَا اليَوْمَ مَا هِي إلَّا حَضَارَةٌ قَائِمَةٌ فَوْقَ مَقَابِرَ جَمَاعِيَّةٍ، تَخْفِي مَعَهَا جَرَائِمَ تَقْشَعِرُّ مِنْهَا الأبْدَانُ!

وقَدْ أخْرَجَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» مَكْنُوْنَ الشَّرِّ الَّذِي في نُفُوْسِ المُسْتَعْمِرِيْنَ الجُدُدِ، ووَلَّدَتْ نَزَعَاتٍ عَدَائِيَّةً غَيْرَ مَسْبُوْقَةٍ؛ إذْ تَوَارَتِ الرُّوْحُ الإنْسَانِيَّةُ خَلْفَ رَغْبَةِ الإبَادَةِ

والتَّشَفِّي والتَّفَنُّنِ في القَتْلِ والتَّمْثِيْلِ بالجُثَثِ، فَمِنْ هَذِهِ الظَوَاهِرِ المُرَوِّعَةِ: سَلْخُ رُؤوْسِ المَوْتَى؛ لنَشْرِ الرُّعْبِ والإرْهَابِ والتَّخْوِيْفِ، وأيْضًا كوَسِيْلَةٍ لإحْصَاءِ عَدَدِ القَتْلى، بَدَلًا مِنْ مُعَانَاةِ حَمْلِ رُؤوْسِهِم!

وفي دِرَاسَةٍ عَنْ جَرَائِمَ الإبَادَةِ الَّتِي تعَرَّضَ لَهَا الهُنُوْدُ الحُمْرُ يُؤَكِّدُ مُنِيْر العُكْش في كِتَابِهِ «أمْرِيْكَا والكَنْعَانِيُّوْنَ الحُمْرُ» (٦٢): «أنَّ الرَّجُلَ الأبْيَضَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ عَادَةَ السَّلْخِ في العَالَمِ الجَدِيْدِ، وأنَّ أكْثَرَ جَرَائِمِهَا مِنْ صُنْعِ يَدَيْهِ.. وكَانَتْ عَادَةُ سَلْخِ فَرْوَةِ الرُّؤوْسِ مُتَّبَعَةً في أيَّامِ الحَرْبِ الأمْرِيْكِيَّةِ الإنْجِلِيْزِيَّةِ الأيْرْلَنْدِيَّةِ».

وقَدْ تَعَدَّدَتِ الأرْقَامُ حَوْلَ قَتْلى الهُنُوْدِ الَّذِيْنَ أُبِيْدُوا على يَدِ الرَّجُلِ الأبْيَضِ، إلَّا أنَّ أحَدَ التَّقْدِيْرَاتِ تُشِيْرُ إلى أنَّ «عَدَدَ سُكَّانِ الأرْضِ في عَامِ (١٥٠٠م) (٩٠٠٥هـ) يَبْلُغُ نَحْوَ (٤٠٠) مِلْيُوْنَ نَسَمَةٍ، يَسْكُنُ (٨٠) مِلْيُونًا مِنْهُم القَارَّتَيْنَ الأمْرِيْكِيَّتَيْنِ، وبحُلُوْلِ أوَاسِطِ القَرْنِ السَّادِسَ عَشَرَ (أي: أوَاسِطِ القَرْنِ الحَادِي عَشَرَ الهِجْرِيِّ) لم يَتَبَقَّ مِنْ هَذِهِ الملايين الثَّمانِيْنَ

سِوَى: عَشَرَةِ مَلايِيْنَ فَقَط!

أمَّا إذَا قَصرْنَا حَدِيْثَنَا عَنِ المَكْسِيْك، فإنَّ عَدَدَ سُكَّانِها عَشِيَّةَ الفَتْحِ يَبْلُغُ نَحْوُ (٢٥) مِلْيُوْن نَسَمةٍ، بَيْنَما بَلَغَ في عَام (١٦٠٠م) (١٠٠٨هـ): مِلْيُوْنَ نَسَمَةٍ، وإذَا كَانَتْ كَلِمَةُ إبَادَةٍ قَدِ اسْتُخْدِمَتْ اسْتِخْدَامًا دَقِيْقًا في الحَدِيْثِ عَنْ حَالَةٍ مَّا، فهَذِهِ الحَالَةُ هِيَ الَّتِي نَتَحَدَّثُ عَنْهَا.

فَقَدْ تَمَّ تَدْمِيْرٌ بِنِسْبَةِ (٩٠٪) وأكْثَرَ؛ حَيْثُ كَانَ انْخِفَاضُ عَدَدِ السُكَّانِ يُقَدَّرُ بـ(٧٠) مِلْيُون إنْسَانٍ».

لم يَكُنِ الهُنُوْدُ الحُمْرُ وَحْدَهُم قَتْلى العَالَم الجَدِيْدِ، فالسُّوْدُ الَّذِيْنَ تَمَّ جَلْبَهُم مِنْ إفْرِيْقِيَّه كعَبِيْدٍ أرِقَّاء، كَانَ لَهُم قِصَّةٌ مَأسَاوِيَّةٌ لا زَالَتْ أثَارُهَا بَاقِيَةً حَتَّى اليَوْمَ، فَقَدْ نَشَأتْ أمْرِيْكا على أكْتَافِ وجَمَاجِمِ مَلايِيْنَ الأفَارِقَةِ الَّذِيْنَ كَانَ يَقُوْمُ الغَرْبِيُّوْنَ باصْطِيَادِهِم مِنْ إفْرِيْقِيَّه، ويَتِمُّ شَحْنُهُم عَبْرَ سُفُنٍ لخِدْمَةِ الرَّجُلِ الأبْيَضِ، وقَدْ رَوَى لَنَا السُّوْدُ الأرْضَ الأمْرِيْكِيَّةَ بدِمَائِهِم؛ كَي تَنْمُو المَحَاصِيْلُ، وتَدُوْرُ المَصَانِعُ، وتَنْتَعِشُ التِّجَارَةُ.. هَذَا إذَا عَلِمْنَا أنَّ أكْثَرَ هَؤلاءِ السُّوْدِ الَّذِيْنَ

اخْتُطِفُوا مِنَ القَارَّةِ الإفْرِيْقِيَّه: هُم مُسْلِمُونَ!

* * *

◻ الحُرُوْبُ الأَهْلِيَّةُ الأَمْرِيْكِيَّةُ:

لَقَدِ اكْتَوَى المُسْتَعْمِرُونَ الجُدُدُ بنَارِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» مَعَ تَزَايُدِ النَّزْعَةِ العَدَائِيَّةِ للرَّجُلِ الأَبْيَضِ في الوَطَنِ الجَدِيْدِ، فِيَمَا عُرِفَ بالحُرُوْبِ الأَهْلِيَّةِ، وكَانَ مَنْطِقُ القُوَّةِ هُوَ السَّائِدُ في كُلِّ شَيءٍ، فالقَوِيُّ هُوَ الَّذِي يَحْكُمُ، وهُوَ الَّذِي يُفْرِضُ وُجُوْدَهُ بأيِّ وَجْهٍ كَانَ، واللُّجُوْءِ إلى العُنْفِ أو القَتْلِ لحَسْمِ أيِّ نِزَاعٍ هُوَ الخِيَارُ الوَحِيْدُ، فَقَدْ تَقَاتَلَ الأَمْرِيْكِيُّوْنَ، وقَتَلَ بَعْضُهُم بَعْضًا، وكَانَتْ خَسَائِرُ الحَرْبِ بَيْنَ الوِلايَاتِ الشَّمالِيَّةِ والوِلايَاتِ الجَنُوْبِيَّةِ فَادِحَةً.

حَيْثُ كَلَّفَتِ الحُرُوْبُ الأَهْلِيَّةُ البِلادَ أعْدَادًا هَائِلَةً مِنَ الأَرْوَاحِ، «فَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ القَتْلى مِنَ الطَّرَفَيْنِ (٦٢٠) أَلْفًا، مِنْ بَيْنَهِم (٣٦٠) أَلْفًا مِنَ الشَّمالِ، و(٢٦٠) أَلْفًا مِنَ الجَنُوْبِ، وقَدْ مَاتَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ هَؤلاءِ بسَبَبِ الأمْرَاضِ، وكَلَّفَتِ الحَرْبُ الأمْرِيْكِيِّيْنَ عَامَّةً ثَمَنًا بَاهِظًا في المُمْتَلَكَاتِ والمَزَارِعِ

والصِّنَاعَةِ والتِّجَارَةِ، وهَلَكَ الكَثِيْرُوْنَ مِنَ المَدَنِيِّيْنَ مِنْ رِجَالٍ ونِسَاءٍ وأطْفَالٍ» انْظُرْ: «المَوْسُوْعَةَ العَرَبِيَّةَ».

وفَوْقَ ذَلِكَ أنَّ كُلًّا مِنَ الطَّرَفَيْنِ كَانَ حَرِيْصًا على إبَادَةِ الآخَرِ، هَذَا الكَمُّ مِنَ القَتْلِ الَّذِي شَهِدَتْهُ أمْرِيْكَا رُبَّما لا نَجِدُهُ بِهَذَا القَدْرِ في أيِّ مَكَانٍ آخَرَ.

وقَدْ تَوَارَثَتِ الأجْيَالُ حَمْلَ السِّلاحَ؛ لِيُصْبِحَ حَقًّا أصِيْلًا لِكُلِّ مُوَاطِنٍ، لا تَسْتَطِيْعُ أيُّ حَكُوْمَةٍ أمْرِيْكِيَّةٍ تَقْيِيْدُهُ، كَمَا هُوَ في بَاقِي أنْحَاءِ العَالَمِ، وتَرَتَّبَ على شُيُوْعِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ أنْ أصْبَحَتِ المُدُنُ الأمْرِيْكِيَّةُ أقَلَّ أمْنًا، فحَوَادِثُ القَتْلِ والعُنْفِ اليَوْمِيَّةِ بِهَا لا تُقَارَنُ، والمُدُنُ الأمْرِيْكِيَّةُ تَشْهَدُ أعْلى نِسْبَةٍ مِنَ الجَرَائِمِ الجِنَائِيَّةِ على المُسْتَوَى الدُّوليِّ.

«إنَّ العَقْلِيَّةَ الأمْرِيْكِيَّةَ تُعَاني تَارِيْخِيًّا مِنْ مُشْكِلَةِ الوَلَعِ باسْتِخْدَامِ السِّلاحِ والبُنْدُقِيَّةِ، لَقَدْ كَانَ رَبُّ الأُسْرَةِ الأمْرِيْكي يُعْرَفُ في المَاضِي بأنَّهُ كَانَ يَحْمِلُ سِلاحَهُ دَاخِلَ بَيْتِهِ مُعْظَمَ الوَقْتِ، وإذَا ضَايَقَه شَيءٌ مَّا يَقِفُ ويُطْلِقُ الرَّصَاصَ في الهَوَاءِ لِيُنَفِّسَ عَنْ ضِيْقِهِ، ولم يُعْرَفْ شَعْبٌ آخَرُ في العَالَمِ إطْلاقًا

بذَلِكَ، ولا حَتَّى في بَاقِي الشُّعُوْبِ الغَرْبِيَّةِ، كَانَ إطْلاقُ الرَّصَاصِ في المُجْتَمَعِ الأمْرِيكي أمْرًا مُعْتَادًا مُنْذُ بَدْءِ الدَّوْلَةِ وحَتَّى الآنَ، ولذَلِكَ لَيْسَ عَجِيْبًا أنْ تَتَعَامَلَ أمْرِيْكا مَعَ العَالَمِ بالمَنْطِقِ الوَحِيْدِ الَّذِي تَعْشَقُهُ وتَهْوَاهُ، وتَظُنُّ أنَّهَا تُجِيْدُهُ: وهُوَ مَنْطِقُ القُوَّةِ والسِّلاحِ». انْظُرْ: «تِشْينِي وهُوَايَة القَتْلِ» لبَاسِم خَفَاجِي.

وخُطُوْرَةُ مَنْطِقِ السِّلاحِ أنَّهُ يُغْرِي صَاحِبَهُ باسْتِخْدَام القُوَّةِ المُفْرِطَةِ، والقَضَاءِ على الآخَرِ، ولَيْسَ مُجَرَّدَ قَهْرِهِ والسَّيْطَرَةِ عَلَيْهِ، وهَذَا شُعُوْرٌ مُدَمِّرٌ، فإبَادَةُ المُخَالِفِيْنَ، والقَضَاءُ عَلَيْهِم بَدَلًا مِنَ التَّعَايُشِ مَعَهُم يَعْنِي أنَّنَا أمَامَ طَفْرَةٍ في النُّزُوْعِ العَدَائي فاقَتْ كُلَّ مَا سَبَقَ مِنْ مُيُوْلٍ عَدْوَانِيَّةٍ.

ومِنْ مَظَاهِرِ هَذِهِ النَّزْعَةِ غَيْرِ الإنْسانِيَّةِ: اسْتِخْدَامُ الأسْلِحَةِ الأشَدِّ فَتْكًا في الحُرُوْبِ المُعَاصِرَةِ المَعْرُوْفَةِ بأسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ، فَقَدْ شَهِدَ القَرْنُ العِشْرُونَ (أيْ: القَرْنُ الخَامِسَ عَشَرَ الهِجْرِيُّ): أوَّلَ اسْتِخْدَامٍ للسِّلاحِ النَّوويِّ عِنْدَمَا رَمَتْ أمْرِيْكا قُنْبُلَتَيْنِ على «هِيْرُوشِيْما»، و«نَاجَازَاكي» على الرُّغْمِ مِنْ أنَّ

إلقاءَهُمَا لم يَكُنْ ضَرُوْرَةً عَسْكَرِيَّةً؛ حَيْثُ أنَّ اليَابَانَ كَانَتْ قَدِ اسْتَعَدَّتْ للاسْتِسْلامِ.

وتَكَرَّرَ اسْتِخْدَامُ أَسْلِحَةِ الدَّمَارِ الشَّامِلِ في الحُرُوْبِ الأخِيْرَةِ، إذْ تَمَّ اسْتِخْدَامُ «اليُورَانْيُوم» المُنَضَّبُ ضِدَّ الجَيْشِ العِرَاقِي في حَرْبِ الخَلِيْجِ الأُوْلى أوَائِلَ التِّسْعِيْنِيَّاتِ (١٩٩٠م ـ١٤١٠هـ)، ثُمَّ «الفُسْفُور» الأبْيَضُ ضِدَّ المَدَنِيِّيْنَ في «الفَلُّوْجَةِ» عَقِبَ الغَزْوِ الأمْرِيْكِي في العِرَاقِ عَامَ (٢٠٠٣م ـ١٤٢٣هـ).

إنَّ ظَاهِرَةَ الإبَادَةِ عِنْدَ الغَرْبِ اليَوْمَ تُعَدُّ خَطَرًا على البَشَرِيَّةِ جَمْعَاء؛ حَيْثُ تُلْقِي بظَلامٍ قَاتِلٍ على مُسْتَقْبَلِ العَالَمِ.

ومَنْ يُتَابِعُ الثَّقَافَةَ الغَرْبِيَّةَ المُعَاصِرَةَ يَلْحَظُ تَقْدِيْسَ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» كخِيَارٍ وَحِيْدٍ في التَّعَامُلِ مَعَ الآخَرِيْنَ، وتُؤَكِّدُ الفُنُوْنُ، والهُوَايَاتُ المُعَاصِرَةُ، والظَّوَاهِرُ الأخْلاقِيَّةُ في الغَرْبِ أنَّ الأجْيَالَ الغَرْبِيَّةَ الجَدِيْدَةَ تَوَارَثَتْ هَذِهِ الرُّوْحَ المُتَمَرِّدَةَ، وسَيْطَرَتْ عَلَيْهَا «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ»، وكَأنَّهَا كالدَّمِ يَجْرِي في عُرُوْقِهِم، وكالهَوَاءِ يَجْرِي في أنْفَاسِهِم!

❋ ❋ ❋

□ عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ، والفُنُوْنُ:

الفُنُوْنُ الغَرْبِيَّةُ المُعَاصِرَةُ على الرُّغْمِ مِمَّا بِهَا مِنْ تَنَوُّعٍ وانْتِشَارٍ؛ فإنَّ لَهَا اهْتِمَامًا مُتَزايِدًا بـ«عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، فالإنْسَانُ الغَرْبِي يَهْتَمُّ كَثِيْرًا بالقُوَى البَدَنِيَّةِ الخَارِقَةِ، ويَنْظُرُ بإعْجَابٍ للأعْمَالِ العَنِيْفَةِ، ويَألَفُ رُؤيَةَ الدِّمَاءِ، ومَشَاهِدَ الألَمِ وغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَشَاهِدِ الدِّمَاءِ والعُنْفِ.

ومِنْ هُنَا؛ جَاءَتْ فِكْرَةُ إشْبَاعِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ لَدَى الجَمْهُوْرِ الغَرْبِي، ولاسِيَّما عِنْدَ الشَّعْبِ الأمْرِيْكِي؛ حَيْثُ قَامَتْ الشَّرِكَاتُ الغَرْبِيَّةُ للإخْرَاجِ السِّيْنِمائي في نَشْرِ مَظَاهِرِ وصُوَرِ العُنْفِ؛ كَأنَّهَا رِسَالَةٌ إلَهِيَّةٌ!

إنَّ الكَثِيْرَ مِنَ الأعْمَالِ الفَنِّيَّةِ: هِيَ تِلْكَ الَّتِي تَدُوْرُ حَوْلَ القَتْلِ والدَّمَارِ؛ حَيْثُ قَدَّمَتِ السِّيْنِما الأمْرِيْكِيَّةُ للعَالَمِ شَخْصِيَّاتٍ مَشْهُوْرَةً: «الكَاوبُوي، وسُوْبَرْمَان، وطَرَزَان، وزُوْرُو، ورَامْبُو...»، كنَمَاذجَ للإنْسَانِ الغَرْبي الَّذِي لا يُقْهَرُ، ذِي القُوَّةِ القَاهِرَةِ الَّذِي يَقْتُلُ الآخَرِيْنَ ولا يُقْتَلُ؛ بحَيْثُ يَسْتَطِيْعُ البَطَلُ الأمْرِيْكِيُّ الانْتِصَارَ على عَدَدٍ كَبِيْرٍ مِنَ

الخُصُوْمِ ولا يُخْدَشُ، ويُقَدِّمُهُ الغَرْبُ مَعَ ذَلِكَ على أَنَّهُ بَطَلٌ، ولَيْسَ قَاتِلًا!

ومِنْ أغْرَبِ مَا أَنْتَجَهُ الغَرْبُ مِنْ نَمَاذِجَ تُجَسِّدُ فِكْرَةَ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، والرَّغْبَةِ في اسْتِنْزَافِ الآخَرِ: شَخْصِيَّةَ مَصَّاصِ الدِّمَاءِ «دَرَاكُولا»، هَذَا الكَائِنُ الخُرَافِيُّ الَّذِي لا يَمُوْتُ، يَعِيْشُ على مَصِّ الدِّمَاءِ، ولَدَيْهِ قُوَّةٌ خَارِقَةٌ، وهَذِهِ الشَّخْصِيَّةُ في حَقِيْقَتِهَا تُعَبِّرُ عَنْ نَفْسِيَّةِ مَنْ يَعِيْشُ الاسْتِيْلاءَ على ثَرَوَاتِ الشُّعُوْبِ، وحَتَّى عِنْدَمَا انْهَزَمَتْ أَمْرِيْكا في حُرُوْبِهَا مَعَ «فِيتِنَام» اخْتَارَتِ السِّيْنَما شَخْصِيَّةَ: «رَامْبُو»؛ لِتُجَسِّدَ صِرَاعَ الجُنْدِي الأَمْرِيْكِي مَعَ نَفْسِهِ، ومَعَ المُجْتَمَعِ، ومَعَ البَشَرِيَّةِ جَمْعَاء، ولم يَكُنْ لـ«رَامْبُو» رَفِيْقٌ سِوَى السِّلاحِ، ولم يَعْرِفْ وَسِيْلَةً للتَّعَامُلِ مَعَ الحَيَاةِ إلَّا القُوَّةَ والصِّرَاعَ!

وبجَانِبِ السِّيْنَما فَإنَّ الصِّرَاعَ لامَسَ هُوَايَاتِ الشَّبَابِ، فإذَا نَظَرْنَا إلى المُوْسِيْقَى الغَرْبِيَّةِ المُعَاصِرَةِ نَجِدَ أَنَّهَا أَخَذَتْ أَشْكَالًا جَدِيْدَةً لم تَكُنْ مَوْجُوْدَةً مِنْ قَبْلُ، فَالأَمْرِيْكِيُّوْنَ لم يَكْتَفُوا بهَذَا الفَنِّ، كَمَا هُوَ، وإنَّما اخْتَرَعُوا أَلْوَانًا مِنَ

المُوْسِيْقَى العَنِيْفَةِ مِثْلَ: «الهَارْدرُوك، والمِيْتَالِيْك، والرُّوْك آنْدرُول...»، وأَصْبَحَتِ المُوْسِيْقَى الصَّاخِبَةُ الَّتِي تَصُمُّ الأذَانَ، والَّتِي تُصَاحِبُهَا حَرَكَاتُ العُنْفِ هِيَ الأَكْثَرُ شَعْبِيَّةً، وحَتَّى كِلَماتِ الأغَاني فَقَدَتْ مَعَاني السَّلامَ والوِدِّ، وجَسَّدَتْ في مَعَانِيْهَا «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ»، وتَحَوَّلَتِ الحَفَلاتُ المُوْسِيْقِيَّةُ إلى سَاحَاتٍ لاسْتِعْرَاضِ العَضَلاتِ المُزَيَّفَةِ، والحَرَكَاتِ العَنِيْفَةِ الَّتِي تَتَّخِذُ أَشْكَالًا هِسْتِيْرِيَّةً مَسْعُوْرَةٍ في مُعْظَمِ الأَحْيَانِ، وأَصْبَحَتْ طُبُوْلُ الحَرْبِ المُزْعِجَةِ مُكَوِّنًا أَسَاسِيًّا في مَنْظُوْمَةِ الآلاتِ المُوْسِيْقِيَّةِ، وأَصْبَحَ هَذَا النَّوْعُ مِنَ الصَّخَبِ المُوْسِيْقِي يَسْتَقْطِبُ الجَمْهُوْرَ الأَكْبَرَ مِنَ المُحِبِّيْنَ للتَّرْفِيْهِ، ولم تَعُدْ الصَّالاتُ الصَّغِيْرَةُ تَسْتَوْعِبُ المُشَارِكِيْنَ؛ فبَدَأَتِ الفِرَقُ المُوْسِيْقِيَّةُ وكِبَارُ المُغَنِّيْنَ للفَنِّ العَنِيْفِ: يُنَظِّمُوْنَ الحَفَلاتِ في مَلاعِبِ كُرَةِ القَدَمِ، والسَّاحَاتِ الكُبْرَى الَّتِي تَسَعُ عَشَرَاتِ الآلافِ مِنَ الرَّاغِبِيْنَ في التَّنْفِيْسِ مِنْ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» على أَنْغَامِ المُوْسِيْقَى.

وفي وَسَطِ قَرْعِ الطُّبُوْلِ والمُوْسِيْقَى المُزْعِجَةِ يَتَرَاقَصُ جَمْهُوْرٌ كَبِيْرٌ مِنَ البَشَرِ، ويُفْرِّغُوْنَ طَاقَتَهُم في حَرَكَاتٍ

عَشْوَائِيَّةٍ، ويَضْرِبُ بَعْضُهُم بَعْضًا دُوْنَ اكْتِرَاثٍ، كُلُّ ذَلِكَ على قَرْعِ الطُّبُوْلِ والمُوْسِيْقَى الجُنُوْنِيَّةِ.

وإذَا تَرَكْنَا الفُنُوْنَ؛ سَنَجِدُ أنَّ هُوَايَاتِ الغَرْبِيِّيْنَ العَنِيْفَةِ بَرَزَتْ أيْضًا في مَجَالِ الرِّيَاضَةِ، إذْ زَادَتْ شَعْبِيَّةُ الهُوَايَاتِ الَّتِي تَتَوَافَقُ مَعَ نَزْعَةِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» العُدْوَانِيَّةِ، ومِنَ المُلْفِتِ أنَّ الرِّيَاضَاتِ العَنِيْفَةَ الَّتِي لا تَلْقَى حَمَاسًا كَبِيْرًا في أنْحَاءِ العَالَمِ نَمَتْ وانْتَشَرَتْ في الغَرْبِ، وهُنَاكَ رِيَاضَاتٌ عَدِيْدَةٌ عَنِيْفَةٌ تُوْجَدُ في الغَرْبِ فَقَط، ولا وُجُوْدَ لَهَا في بَاقِي سُكَّانِ الأرْضِ.

***

□ الرِّيَاضَةُ، وتَفْرِيْغُ عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ:

فقَدَتِ الرِّيَاضَةُ بَيْنَ مُمَارِسِيْهَا حِسَّ التَّرْفِيْهِ والمُتْعَةِ، وتَحَوَّلَتْ إلى صِرَاعٍ مِنْ أجَلِ النَّصْرِ، ومِنْ هُنَا أصْبَحَتِ الرِّيَاضَاتُ الَّتِي يَعْشَقُهَا الغَرْبِيُّوْنَ هِيَ تِلْكَ الَّتِي تَحْمِلُ عَلامَاتِ القَسْوَةِ، ومَلامَحَ الصِّرَاعِ، فَقَدْ نَمتِ المُصَارَعَةُ الحُرَّةُ الَّتِي تُعَدُّ مِنَ الرِّيَاضَاتِ الأكْثَرِ عُنْفًا في الغَرْبِ، بالمُقَارَنَةِ ببَاقِي العَالَمِ، وهِيَ بمَثَابَةِ تَقْنِيْنٍ لتَعَارُكِ فُتُوَّاتِ الشَّارِعِ الأمْرِيْكِي،

وذَلِكَ مِنْ خِلالِ نَقْلِ القِتَالِ إلى حَلَبَةٍ وَسَطِ جَمْهُوْرٍ مُتَحَمِّسٍ للأَقْوَى، مَعَ وَضْعِ بَعْضِ الضَّوَابِطِ لإضْفَاءِ المَشْرُوعِيَّةِ على هَذِهِ الرِّيَاضَةِ الَّتِي تتَمَيَّزُ باسْتِعْرَاضِ القُوَّةِ والشَّرَاسَةِ، وتَنْتَهِي بسَحْقِ أحْدِهِم!

نَفْسُ الأمْرِ مَعَ المُلاكَمَةِ الَّتِي نَمَتْ في الغَرْبِ، وصَارَتْ مِنْ أهَمِّ الرِّيَاضَاتِ، بَلْ إنَّ «كُرَةَ القَدَمِ» في أمْرِيْكَا غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي يَعْرِفُهَا العَالَمُ، فَهِي تَعْتَمِدُ على المُصَارَعَةِ، ومِنَ المُلْفِتِ أنَّ الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةَ الَّتِي تُعْلي مِنْ شَأنِ الرِّيَاضَاتِ الَّتِي تَرْتَبِطُ بالقُوَّةِ البَدَنِيَّةِ، لا تَجِدُ لَهَا قَدَمًا في مُسَابَقَةِ «كُرَةِ القَدَمِ» التَّقْلِيْدِيَّةِ الَّتِي تُعْتَبَرُ اللُّعْبَةَ الشَّعْبِيَّةَ الأُوْلى في العَالَمِ[١].

وتَفَنَّنَ بَعْضُ الغَرْبِيِّيْنَ في اخْتِرَاعِ مُسَابَقَةِ الصِّرَاعِ مَعَ الحَيَوَانِ، بجَانِبِ صِرَاعِ الإنْسَانِ مَعَ الإنْسَانِ، وهَذِهِ الفِكْرَةُ تَجلَّتْ في مُصَارَعَةِ الثِّيْرَانِ الَّتِي تُقَامُ لَهَا احْتِفَالاتٌ سَنَوِيَّةٌ في أسْبَانِيَا؛ لإظْهَارِ تَفَوُّقِ الإنْسَانِ على الثِّيْرَانِ، وتَنْتَهِي بقَتْلِ

---

(١) انْظُرْ: كِتَابَ «حَقِيْقَة كُرَةِ القَدَمِ» للمُؤلِّفِ، فَقَدْ ذَكَرْتُ فِيْهِ تَارِيْخَ وأحْكَامَ ومَحَاذِيْرَ كُرَةِ القَدَمِ بِمَا فِيْهِ كِفَايَةٌ إنْ شَاءَ اللهُ.

الثِّيْرَانِ بَعْدَ تَعْذِيْبِهَا بِرَشْقِ السِّهَامِ عَلَيْهَا وَسَطِ فَرَحٍ وسُرُوْرٍ مِنَ الجَمَاهِيْرِ الغَرْبِيَّةِ، ويَسْبِقُ هَذِهِ المُسَابَقَاتِ احْتِفَالاتٌ تَنْطَلِقُ فِيْهَا الثِّيْرَانُ في الشَّوَارِعِ خَلْفَ جَمْهُوْرٍ غَيْرِ مُبَالي بالألَمِ، وأحْيَانًا السَّحْقِ تَحْتَ حَوَافِرِ الثِّيرَانِ الهَائِجَةِ، أو طَعْنًا بقُرُونِهَا الحَادَّةِ!

هَذِهِ الأمْثِلَةُ تُؤكِّدُ أنَّ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» لَدَى الغَرْبِيِّيْنَ تَظْهَرُ في كَثِيْرٍ مِنَ المَجَالاتِ، وأنَّها تُصْبِغُ العَدِيْدَ مِنْ مَنَاحِي الحَيَاةِ، وحَتَّى عِنْدَمَا بَدءوا يَسْتَشْرِفُوْنَ المُسْتَقْبَلَ، كَانَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ»: هِيَ مِحْوَرَ تَفْكِيْرِهِم أيْضًا، ويَبْدُو أنَّ المَدَنِيَّةَ والتَّقَدُّمَ التِكْنُولُوجِي لَدَيْهِم لم يَجْلِبْ لَهُم الهُدُوءَ والطَّمَأنِيْنَةَ، وغَرْسَ الأمْلِ في غَدٍ أفْضَلَ وأكْثَرَ أمْنًا!

***

◻ المُسْتَقْبَلُ، وسِيَادَةُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»:

عِنْدَمَا بَدَأ الكُتَّابُ والمُفَكِّرُوْنَ الغَرْبِيُّوْنَ يَتَنَبَّئُونَ بالمُسْتَقْبَلِ، كَانَ الصِّرَاعُ والعَدَاءُ، ثُمَّ الدَّمَارُ مَا يَنْتَظِرُ البَشَرِيَّةَ مِنْ خِلالِ أعْمَالِهِم وكِتَابَاتِهِم، لِذَا نَجِدُهُم لم يَكْتَفُوا بالصِّرَاعِ

بَيْنَ البَشَرِ على الأرْضِ، وإنَّما تَخَيَّلُوا اتِّسَاعَ نِطَاقِ المَعَارِكِ بَيْنَ الأرْضِ والفَضَاءِ بَيْنَ البَشَرِ ومَخْلُوقَاتٍ قَادِمَةٍ مِنَ الفَضَاءِ، لَقَدْ طَغَتِ الرُّؤْيَةُ السَّوْدَاوِيَّةُ، والنَّفْسُ الحَاقِدَةُ على كِتَابَاتِ الغَرْبِيِّيْنَ عَنِ المُسْتَقْبَلِ، فالكَوْنُ عِنْدَهُم مُقْبِلٌ على مُصَادَمَاتٍ وحُرُوْبٍ نَوَوِيَّةٍ، وبِنَاءً على هَذَا التَّصَوُّرِ انْخَرَطَ الغَرْبُ في الإعْدَادِ لحَرْبِ الكَوَاكِبِ، ووُضِعَتْ مِيْزَانِيَّاتٌ ضَخْمَةٌ؛ لِمَا عُرِفَ ببَرَامِجِ «حَرْبِ النُّجُوْمِ»، على حِسَابِ رَفَاهِيَّةِ الإنْسَانِ الغَرْبيِّ؛ اسْتِعْدَادًا لهَذِهِ المُوَاجَهَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ المُتَوَهَّمَةِ!

تَجَاوَبَتِ السِّيْنَمَا الغَرْبِيَّةُ بدَوْرِهَا مَعَ هَذِهِ التَّصَوُّرَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ، وقَدَّمَتِ الأفْلامَ الَّتِي تَدُوْرُ حَوْلَ حُرُوْبِ المُسْتَقْبَلِ، والتَّصَادُمِ الكَوْنِيِّ، مِثْلَ: «يَوْمَ الاسْتِقْلالِ»، و«حَرْبِ النُّجُوْمِ»... إلخ.

لِذَا كَانَ الطَّابِعُ الدَّمَوِيُّ هُوَ الغَالِب على كُلِّ مَا تَبُثُّهُ وَسَائِلُ الإعْلامِ الغَرْبِيَّةِ عِنْدَ حَدِيْثِهَا عَنِ التَّصَوُّرَاتِ المُسْتَقْبَلِيَّةِ، فالأسْلِحَةُ النَّوَوِيَّةُ هِيَ المُسْتَخْدَمَةُ في هَذِهِ المُوَاجَهَاتِ، أيْ: الدَّمَارِ التَّامِ للمُدُنِ والكَوَاكِبِ.

* * *

أَمَّا إِذَا سَأَلْتَ أَخِي المُسْلِمَ عَنْ أَكْثَرِ هَذِهِ الحُرُوْبِ الَّتِي عَانَى مِنْهَا العَالَمُ، لاسِيَّمَا المُسْلِمِينَ مِنْهُم: هِيَ فِي حَقِيْقَتِهَا مِمَّا كَسِبَتْهُ أَيْدِي رِجَالِ الغَرْبِ يَوْمَ انْفَرَدُوا مُؤخَّرًا بِقِيَادَةِ العَالَمِ، وذَلِكَ فِي الوَقْتِ الَّذِي غَابَ فِيْهِ المُسْلِمُوْنَ عَنْ قِيَادَةِ البَشَرِ إلى السَّلامِ والإسْلامِ، ولاسِيَّما يَوْمَ أُسْقِطَتِ الخِلافَةُ العُثْمَانِيَّةُ.

ومَنْ قَرَأ تَارِيْخَ البَشَرِيَّةِ عَلِمَ يَقِيْنًا: أنَّ المُسْلِمِيْنَ وَحْدَهُم هُمُ الَّذِيْنَ اسْتَطَاعُوا تَطْوِيْقَ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» العُدْوَانِيَّةِ لَدَى الغَرْبِ؛ حَيْثُ حَصَرُوا الأُوْرُوبِيِّيْنَ فِي بِلادِهِم، وكَبَتُوا رَغْبَتَهُم العُدْوَانِيَّةَ، لأجْلِ هَذَا كَانَ الجِهَادُ هُوَ السِّلاحَ الوَحِيْدَ لمُوَاجَهَةِ هَذِهِ النَّزْعَةِ العُدْوَانِيَّةِ، وبِسَبَبِ الجِهَادِ الإسْلامِي؛ تَمَّ قَهْرُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» العَدَائِيَّةِ عِنْدَ الغَرْبِ، وتَقْلِيْمُ مَخَالِبَهُم لفَتْرَةٍ طَوِيْلَةٍ مِنَ الزَّمَنِ.

ومِنْ هُنَا ظَهَرَتْ كَرَاهِيَّةُ الغَرْبِ للإسْلامِ مَعَ أَوَّلِ ظُهُوْرٍ لَهُ، واسْتَمَرَّ هَذَا المَوْقِفُ المُعَادِي تُجَاهَ المُسْلِمِيْنَ حَتَّى اليَوْمَ، واتَّخَذَ هَذَا العَدَاءُ أبْعَادًا دِيْنِيَّةً سَوَّغَتْ لَهُم مَشْرُوْعِيَّةَ

الحَرْبِ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، واعْتِبَارَهُم خَطَرًا في كُلِّ مَكَانٍ، وأَنَّ العُدْوَانَ على الأُمَّةِ الإسْلامِيَّةِ مُبَاحٌ في كُلِّ زَمَانٍ!

***

◻ عِلاقَةُ الغَرْبِ مَعَ الإسْلامِ:

بَدَأَ صِرَاعُ الغَرْبِ مَعَ المُسْلِمِيْنَ مُنْذُ ظُهُوْرِ الدَّوْلَةِ الإسْلامِيَّةِ في عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَتَسَامَح الإمْبِرَاطُوْرِيَّةُ الرُّوْمَانِيَّةُ مَعَ الإسْلامِ، بَلْ تَعَامَلَتْ مَعَهُ كعَدُوٍّ مُنْذُ البِدَايَةِ، وهِيَ الَّتِي بَادَرَتِ المُسْلِمِيْنَ بالعَدَاءِ، ووَاجَهَتِ الدَّعْوَةَ الجَدِيْدَةَ بالرَّفْضِ والمُعَادَاةِ، وارْتَكَبَتِ الإمْبِرَاطُوْرِيَّةُ في ذَاكَ العَصْرِ خَطأً تُنْكِرُهُ الأعْرَافُ الدُّوَلِيَّةُ قَدِيْمًا وحَدِيْثًا، عِنْدَمَا قَتَلُوا مَبْعُوْثَ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، الأمْرُ الَّذِي تَسَبَّبَ في مَعْرَكَةِ مُؤتَةَ الشَّهِيْرَةِ.

فَقَدْ كَانَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ يُرْسِلُ إلى رُؤسَاءِ القَبَائِلِ والمُلُوْكِ يَدْعُوْهُم إلى الإسْلامِ، فبَعَثَ الحَارِثَ بنَ عُمَيْرٍ الأزْدِيَّ بكِتَابِهِ إلى الشَّامِ إلى مَلِكِ الرُّوْمِ؛ فاعْتَرَضَهُ الغَسَاسِنَةُ، وكَانُوا حُلَفَاءَ الرَّوْمِ، فقَتَلُوْهُ - بالاتِّفَاقِ مَعَ «هِرَقْل» - اسْتِهْزَاءً

بالرَّسُوْلِ الكَرِيْمِ، ورِسَالَتِهِ.

كَانَ قَتْلُ مَبْعُوْثِ الرَّسُوْلِ مَوْقِفًا مُعَادِيًا مَقْصُوْدًا لاخْتِبَارِ تِلْكَ القُوَّةِ الصَّاعِدَةِ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ، واكْتِشَافِ مَدَى طُمُوْحِهَا وتَحَدِّيًا لأتْبَاعِ الدِّيْنِ الجَدِيْدِ، اسْتَعَدَّ الرَّوْمُ لرَدِّ فِعْلِ المُسْلِمِيْنَ بكَامِلِ قُوَّتِهِم، واسْتَعَانُوا بحُلَفَائِهِم مِنَ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ المُوَالِيَةِ لَهُم.

هَذَا إذَا عَلِمَ الجَمِيْعُ أنَّهُ لم يُقْتَلْ لرَسُوْلِنَا الكَرِيْم رَسُوْلٌ غَيْرُهُ، رُغْمَ أنَّ الشُّعُوْبَ الكُبْرَى الَّتِي أُرْسِلَ لَهَا رُسُلًا كَانَتْ لَهَا مَوَاقِفُ مُعَادِيَةٌ مِنَ الإسْلامِ أيْضًا؛ إلَّا أنَّهَا لم تُجَاهِرْ بمُخَالَفَةِ الأعْرَافِ، كَمَا فَعَلَ الرُّوْمُ!

إنَّ صِرَاعَ الغَرْبِ مَعَ الإسْلامِ لم يَكُنْ عَسْكَرِيًّا فَقَط، إنَّمَا اتَّخَذَ أشْكَالًا أُخْرَى، فَقَدْ تَمَّ تَشْوِيْهُ صُوْرَةِ الإسْلامِ باخْتِلاقِ الكَثِيْرِ مِنَ الأكَاذِيْبِ «الَّتِي سَاقَهَا الكُتَّابُ البِيْزَنْطِيُّوْنَ والأُورُبِيُّونَ، كَمَا كَانَ الهُجُوْمُ عَلَيْهِ هَدَفًا للإمْبرَاطُوْرِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ والأُوْرُوبِيَّةِ سَوَاءً على الصَّعِيْدِ العَقَدِي، أو الدِّعَائِي مِنْ جَانِبِ المُؤَرِّخِيْنَ الأُوْرُوبِيِّيْنَ المَدْعُوْمِيْنَ بعُلَمَاءِ الدِّيْنِ

المَسِيْحِي في البِلادِ الخَاضِعَةِ لسَيْطَرَةِ المُسْلِمِيْنَ... وقَدْ تَبِعَهُم في نَفْسِ المَنْهَجِ قَسَاوِسَةُ أُوْرُوْبِيُّوْنَ بِدًأ مِنَ القَرْنِ الثَّاني عَشَرَ المِيْلادِي؛ حَتَّى يَوْمِنَا هَذَا.. كَانَتْ هَذِهِ الدِّعَايَةُ قَائِمَةً على أسَاطِيْرَ وأَكَاذِيْبَ جَدِيْدَةٍ لكتَّابٍ لم يُعْدَمُوا الجَهْلَ بالأَحَادِيْثِ التَّارِيْخِيَّةِ، كَمَا لم يُحْرَمُوا مَوْهِبَةَ تَلْفِيْقِ الأكَاذِيْبِ، وكَانَتْ ثَمَرَةُ هَذِهِ الدِّعَايَةِ مَا اصْطَلَحَ على تَسْمِيَتِهِ مُنْذُ قُرُوْنٍ في أوْرُوبَّة باسْمِ: «أُسْطُوْرَةُ مُحَمَّدٍ». انْظُرْ: «دِفَاعٌ عَنْ مُحَمَّدٍ» (٣) لعَبْدِ الرَّحْمَنِ بَدَوِي.

***

▫ تَصْدِيْرُ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»:

انْدَفَعَ الأُورُبِيُّوْنَ لغَزْوِ العَالَمِ مَعَ تَفَوُّقِ الغَرْبِ عَسْكَرِيًّا، وحَيَازَةِ الأسْلِحَةِ الأكْثَرِ فَتْكًا، ودَاسُوا في طَرِيْقِهِم شُعُوْبًا وحَضَارَاتٍ، واسْتَخْدَمُوا القُوَّةَ لحُكْمِ الدُّوَلِ الرَّافِضَةِ لَهُم.

يَشْهَدُ التَّارِيْخُ المُعَاصِرُ ظُهُوْرَ ثَلاثِ مَوْجَاتٍ مُتَتَالِيَةٍ مِنَ الهَجَمَاتِ الغَرْبِيَّةِ على العَالَمِ، وتَتَلَخَّصُ هَذِهِ الهَجَمَاتُ في الحُرُوْبِ الصَّلِيْبِيَّةِ، والحَمَلاتِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ (الدَّمَارِ)، ثُمَّ

الحُرُوْبِ الاسْتِبَاقِيَّة.

إنَّ مَا حَدَثَ في هَذِهِ المَحَطَّاتِ مِنْ خَسَائِرَ كَلَّفَتِ البَشَرِيَّةَ الكَثِيْرَ على حِسَابِ عَقَائِدِهَا وأمْنِهَا وثَرَوَاتِهَا؛ حَيْثُ أشَاعَتْ تِلْكَ الحُرُوْبُ الكَرَاهِيَّةَ والعَدَاءَاتِ الدِّيْنِيَّةَ، وبَذَرَتِ التَّقْسِيْمَاتِ السِّيَاسِيَّةِ والحُدُوْدِيَّةِ (الجُغْرَافِيَّةِ)، وكَانَ الدَّافِعُ الدِّيْنِيُّ هُوَ المُحَرِّكَ الأبْرَزَ وَرَاءَ الحُرُوْبِ الصَّلِيْبِيَّةِ إذْ تَوَحَّدَتْ أوْرُوبَّة تَحْتَ رَايَةِ الصَّلِيْبِ!

أمَّا المَوْجَةُ التَّالِيَةُ: هِيَ المَوْجَةُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ، فَقَدْ اخْتَلَطَ الدَّافِعُ الدِّيْنِيُّ بالاقْتِصَادِ التِّجَارِي، وفي المُوَاجَهَةِ المُعَاصِرَةِ ـ ولَعَلَّهَا الأخِيْرَةَ ـ اخْتَلَطَ الدِّيْنِيِّ بالاقْتِصَادِ التِّجَارِي، مَعَ الرَّغْبَةِ في الهَيْمَنَةِ والسَّيْطَرَةِ على العَالَمِ في الحُرُوْبِ الاسْتِبَاقِيَّةِ، ولَعَلَّهُ مِنَ المُهِمِّ أنْ نُبْرِزَ كَيْفَ سَاهَمَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» في هَذِهِ المَوْجَاتِ الغَرْبِيَّةِ الثَّلاثِ.

***

□ الحَمَلاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ:

تُعْتَبَرُ الحَمَلاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ خِلالَ قَرْنَيْنِ ـ الخَامِسِ

والسَّابِعِ الهِجْرِيَّيْنِ، الحَادِي عَشَرَ والثَّالِثَ عَشَرَ المِيْلادِيَّيْنِ - أَكبَرَ اخْتِرَاقٍ للعَالَمِ الإسْلامِي مُنْذُ قِيَامِ الدَّوْلَةِ الإسْلامِيَّةِ، فَقَدْ ضَرَبَ الضَّعْفُ الخِلافَةَ في ذَلِكَ الوَقْتِ، وتَمَزَّقَتْ أَوْصَالُ الدَّوْلَةِ، فاسْتَغَلَّ الأُورُوبِيُّوْنَ الفُرْصَةَ لِيَنْقَضُّوا على قَلْبِ الأُمَّةِ؛ فعِنْدَهَا فَرَّغَ الأُورُوبِيُّونَ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» العَدَائِيَّةِ المُتَغَلْغِلَةِ دَاخِلِهِم ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، وقَدْ نَظَّمَ الغُزَاةُ القَادِمُونَ مِنْ أَوْرُوبَّةَ الغَرْبِيَّةِ: ثَمَانِي حَمَلاتٍ رَئِيْسَةٍ، فِيْمَا بَيْنَ (٤٩٠ و٦٦٩هـ)، (١٠٩٦و١٢٧٠م)، وتُعَدُّ تِلْكَ الفَتْرَةُ هِيَ فَتْرَةَ تَوَسُّعٍ تِجَارِيٍّ لأُوْرُوبَّةَ الغَرْبِيَّةِ، وزِيَادَةَ قَوَّاتِهَا المُسَلَّحَةِ، وكَانَ الصَّلِيْبِيُّونَ جُزْءً مِنَ الحَرَكَاتِ التَّوَسُّعِيَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ الوَاسِعَةِ، وكَسَبَ الصَّلِيْبِيُّوْنَ بَعْضَ المَعَارِكِ، وأَسَّسُوا مِمَالِكَ صَلِيْبِيَّةً عل طُوْلِ السَّاحِلِ الشَّرقِي للبَحْرِ المُتَوَسِّطِ.

اتَّفَقَ الأُورُوبِيُّونَ رُغْمَ التَّنَاقُضَاتِ والخِلافَاتِ بَيْنَهِم؛ حَيْثُ «انْطَلَقَ الرُّهْبَانُ يَجُوْبُونَ شَمَالَ أَوْرُوبَّةَ لِيُدْخِلُوا أَهْلَهَا مِنَ الهَمَجِ الهَامِجِ في النَّصْرَانِيَّةِ... وجَاءَتْ سَنَةُ (١٠٩٦م)، وجُيِّشَتِ الجُيُوْشُ: مِنَ النَّرْمُنْدِيِّين، والصَّقَالِبَةِ، والسَّكْسَكُون بقِيَادَةِ الرُّهْبَانِ، ومُلُوْكِ الإقْطَاعِ.

كَانَتْ الحَملاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ تَهْدِفُ لتَنْصِيرِ الأُورُوبِيِّيْنَ الوَثَنِيِّينَ الَّذِيْنَ كَانُوا يَنْتَشِرُوْنَ في رُبُوْعِ القَارَّةِ، وقَدْ حَارَبتِ الحَملاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ في بِدَايَتِهَا القَبَائِلِ الأُوْرُوْبِيَّةِ الَّتِي رَفَضتِ اعْتِنَاقِ الدِّيَانَةِ، أو الَّتِي كَانَتْ مَسِيْحِيَّةً لكِنَّهَا تَرْفُضُ المَذْهَبَ السَّائِدَ، وتَمَّ القَضَاءُ عَلَيْهَا.

يُسَجِّلُ التَّارِيْخُ أنَّ الأورُوبِيِّينَ في حَمَلاتِهِم الصَّلِيْبِيَّةِ لم يَتَوَرَّعُوا عَنِ ارْتِكَابِ المَذَابِحِ ضِدَّ كُلِّ مَنْ وَقَفَ أمَامَهُم، فَقَدْ اسْتَهْدَفَتْ هَذِهِ الحُرُوْبُ «الشُّعُوْبَ المُنْشَقَّةَ: كالأرِيوسِيِّين، والكَاتَار لإبَادَتِهَا... وامْتَدَّتْ هَذِهِ الحُرُوْبُ شَرْقًا وغَرْبًا لنَشْرِ مَسِيْحِيَّتِهَا بالسَّيْفِ والمَذَابِحِ ومَحَاكِمِ التَّفْتِيْشِ، ومَا أكْثَرَ المَرَاجِعَ الَّتِي تَنَاوَلَتْ هَذَا التَّارِيْخَ الدَّامِي الَّذِي وَصَمَ الحَضَارَةَ الغَرْبِيَّةَ المُتَعَصِّبَةَ!». انْظُرْ: «الدِّيْني والسِّيَاسِي في التَّعَامُلِ الغَرْبي مَعَ القُرْآنِ» (١٣) لزَيْنَب عَبْدِ العَزِيْزِ.

اتَّسَمَتِ الحَمَلاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ بدَافِعٍ دِيْنِيٍّ لإطْفَاءِ شَهْوَةِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»، كَمَا أنَّها اقْتَصَرَتْ على أكْثَرِ بلادِ المُسْلِمِيْنَ؛ حَيْثُ نَتَجَ عَنْهَا تَفْكِيْكُ بِلادِ الشَّامِ، إذْ أُقِيْمَتْ بِهِ أرْبَعُ مَمَالِكِ

صَلِيْبِيَّةٍ، وقَدِ اسْتَطَاعَ صَلاحُ الدِّيْنِ الأَيُّوبيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ هَزِيْمَةَ الصَّلِيْبِيِّنَ في مَعْرَكَةِ «حِطِّيْنَ» (٥٨٣هـ) (١١٨٧م)، وأَعْطَى الأَمَانَ لِمَنْ تَبَقَّى مِنَ الأورُوبِيِّيْنَ في القُدْسِ، وبَعْضِ المُدُنِ، فعَادَتْ إلى سَابِقِ عَهْدِهَا تَنْعَمُ بالسَّلامِ، لَكِنَّ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» في العُدْوَانِ لم تَزَلْ تُبْعَثُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ!

ومَعَ النَّهْضَةِ الصِّنَاعَيَّةِ، وتَنَامِي الرَّغْبَةِ في السَّيْطَرَةِ على ثَرَوَاتِ العَالَمِ، تَطَوَّرَ الهُجُوْمُ الأُورُوبِّيِّ واتَّسَعَ، فبَدَأَتِ الحَمَلاتُ العَسْكَرِيَّةُ ضِدَّ العَالَمِ كُلِّهِ، وخَرَجَتِ الجُيُوْشُ مِنْ دُوَلِ أَوْرُوبَّة مَرَّةً أُخْرَى في المَوْجَةِ الثَّانِيَةِ لغَزْوِ سُكَّانِ الأَرْضِ فِيْمَا عُرِفَ: بالحَمَلاتِ الاسْتِعْمَارِيَّةِ، وفي هَذِهِ الحَمَلاتِ اخْتَلَطَتِ الدَّوَافِعُ الدِّيْنِيَّةُ مَعَ الاحْتِيَاجَاتِ الاقْتِصَادِيَّةِ التِّجَارِيَّةِ، فكَانَتْ أَكْبَرَ عَمَلِيَّةِ غَزْوٍ وسَطْوٍ ونَهْبٍ يَشْهَدُهَا العَالَمُ، ولا زَالَتْ آثَارُهَا المُتَرَتِّبَةُ عَلَيْهَا مُسْتَمِرَّةً حَتَّى الآنَ.

* * *

◻ الاسْتِعْمَارُ الصَّلِيْبِيُّ (الدَّمَارُ):

تَرْجَمَتِ الحَمَلاتُ الاسْتِعْمَارِيَّةُ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» عِنْدَ الغَرْبِيِّيْنَ، فَقَدْ أَظْهَرَتْ رُوْحُ العُدْوَانِ بِأَقْصَى وأَوْضَحِ صُوَرِهَا، وكَشَفَتْ عَنِ الرَّغْبَةِ في السَّيْطَرَةِ وامْتِلاكِ الأَرْضِ والبَشَرِ؛ حَيْثُ اسْتَبَاحَ الأورُوبِيُّونَ كُلَّ شَيءٍ، واحْتَلُّوا دُوَلَ العَالَمِ، وقَاتَلُوا شُعُوْبَهَا، ونَهَبُوا ثَرَوَاتِهَا، واسْتَعْبَدُوا أُمَمَ أَفْرِيْقِيَّه، وسَاقُوا المَلايِيْنَ مِنَ السُّوْدِ إلى العَالَمِ الجَدِيْد في القَارَّةِ الأمْرِيْكِيَّةِ!

وقَدْ أَعْطَى الغَرْبُ الاسْتِعْمَارِيُّ، مُنْذُ خَمْسَةَ قُرُوْنٍ مِثَالَ التَّطَرُّفِ الأَكْثَرِ فَتْكًا، وهُوَ الادِّعَاءُ بامْتِلاكِ الثَّقَافَةِ الوَحِيْدَةِ، والدِّيْنِ العَالَمِيِّ الوَحِيْدِ، والهَيْمَنَةِ الوَحِيْدَةِ مَعَ نَفْيِ أو تَدْمِيْرِ الثَّقَافَاتِ والدِّيَانَاتِ الأُخْرَى... سَوَّغَ الغَرْبُ تَسَلُّطَهُ على العَالَمِ، ونَهْبَهُ لثَرَوَاتِهِ وقَمْعٍ لحُرِّيَّاتِهِ باخْتِلاقَاتٍ كَثِيْرَةٍ، مِنْهَا: مَا كَانَ باسْمِ رِسَالَتِهِ في قِيَادَةِ العَالَمِ، ومَسْئُولِيَّتِهِ في نَشْرِ الحَضَارَةِ، بَلْ وفي نَشْرِ المَسِيْحِيَّةِ.

كَانَ انْتِقَالُ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ مِنَ المَمَالِيْكِ «مِصْرَ» إلى

العُثْمَانِيِّيْنَ في طَرَفِ الأُمَّةِ الشَّمالي «تُرْكِيَا» لَهُ تَأْثِيْرُهُ؛ حَيْثُ تَرَتَّبَ على هَذَا الانْتِقَالِ تَرَكُّزُ القُوَّةِ شَمَالًا، وضَعْفُ القَلْبِ «العَالَم العَرَبي»، وامْتَدَّ الضَّعْفُ إلى الأطْرَافِ، فأُصِيْبَتْ بالضَّعْفِ والهَوَانِ.

رَكَّزَ الأورُوبِّيُّون جُهْدَهُم العَسْكرِيَّ تُجاهَ الجَنُوْبِ الغَرْبي مَعَ عَجْزِهِم عَنْ مُوَاجَهَةِ العُثْمانِيِّيْنَ في الشَّرْقِ، فسَقَطَتِ الأنْدَلُسُ بَعْدَ فَتْحِ القُسْطَنْطِيْنِيَّةِ بأَرْبَعِيْنَ عَامًّا، وارْتَكَبَ الأورُوبِّيُّون فَظَاعَاتٍ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، أبْرَزُهَا مَا عُرِفَ: بـ«مَحَاكِم التَّفْتِيْشِ»، وأنهَوْا الوُجُوْدَ الإسْلامِي بَعْدَ أنْ حَكَمَهَا الإسْلامُ ثَمَانِيَةَ قُرُوْنٍ، كَانَ انْتِصَارُ الأورُبِّيِّينَ على المُسْلِمِيْنَ في الأنْدَلُسِ وسُقُوْطِ غُرْنَاطَةَ في (٨٩٧هـ ـ ١٤٩٢م) بِدَايَةً لانْكِسَارٍ لم يُجْبَرْ حَتَّى الآنَ، إذِ انْطَلَقَتْ جُيُوْشُ الصَّلِيْبِيِّنَ مِنْ بِلادِ أوْرُوبَّة تَطُوْقُ العَالَمَ الإسْلامِيَّ ، ولتَبْدَأ مَرْحَلَةً أُخْرَى مِنَ الحُرُوْبِ، واحْتِلالِ البِلادِ الإسْلامِيَّةِ، وغَزْوِ العَالَمِ.

***

◻ الحُرُوْبُ الاسْتِبَاقِيَّةُ:

بَدَأَ العَالَمُ الغَرْبيُّ القَائِمُ على «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» يَبْحَثُ عَنْ عَدُوٍّ جَدِيْدٍ مَعَ نِهَايَةِ الحَرْبِ البَارِدَةِ، وتَفَكُّكِ الاتِّحَادِ السُّوفِيْتِي في بِدَايَةِ التِّسْعِيْنِيَّاتِ (أيْ: بِدَايَةِ القَرْنِ الخَامِسَ عَشَرَ الهِجْرِي)؛ فاخْتَارَ الإسْلامَ كعَدُوٍّ جَدِيْدٍ وأبَدِيٍّ، مِنْ أجْلِ ذَلِكَ عُقِدَتِ المُؤتَمَرَاتُ والنَّدْوَاتُ، وصَدَرَتِ التَّصْرِيْحَاتُ تُلْوَ التَّصْرِيْحَاتِ، ثُمَّ أُعْلِنَتِ الخُطَطُ لحَشْدِ التَّأييْدِ الغَرْبي لمُوَاجَهَةِ العَدُوِّ الجَدِيْد.

إن الغَرْبَ في حَاجَةٍ دَائِمَةٍ إلى عَدُوٍّ خَارِجِيٍّ، ولذَلِكَ تَمَّ اسْتِدْعَاءُ الإسْلامَ والمُسْلِمِيْنَ مُجَدَّدًا إلى الصِّرَاعِ، وتَوَّجَ هَذَا الاسْتِدْعَاءَ مَقَالَةُ الكَاتِبِ «صَمويْل هَانْتِنجتُون» في «صِدَامِ الحَضَارَاتِ»، والَّتِي نَشَرَهَا في مَجَلَّةِ «فُورِيْن أفِيرز»، ثُمَّ أصْدَرَهَا في كِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ، تَقُوْمُ فَرْضِيَّةُ هَذِهِ المَقَالَةِ على أنَّ الحَرْبَ العَالَمِيَّةَ القَادِمَةَ سَتَكُوْنُ مِنَ الحَضَارَاتِ العَالَمِيَّةِ، وحَصَرَهَا بَيْنَ الحَضَارَةِ العَرَبِيَّةِ والإسْلامِيَّةِ والحَضَارَةِ المَسِيْحِيَّةِ الغَرْبِيَّةِ، وأنَّ أُسُسَ الصِّرَاعِ القَادِمِ سَتَكُوْنُ ثَقَافِيَّةً،

ومُرْتَبِطَةٍ بالمَوْضُوْعِ الثَّابِتِ عَبْرَ القُرُوْنِ: وهُوَ مَوْضُوْعُ الهُوِيَّةِ الحَضَارِيَّةِ للأُمَمِ، والَّتِي تَتَأَسَّسُ في بُعْدِهَا البِنْيَوِيِّ الثَّابِتِ على الدِّيْنِ.

وقَدْ لَوَّحَ «هَانْتِنْجتُون» - أبْرَزُ مُنَظِّرِي الصِّرَاعِ المُعَاصِرِيْنَ - في مَقَالَتِهِ السَّابِقَةِ بخَطَرِ الحَرَكَاتِ الإسْلامِيَّةِ والدَّعْوَةِ إلى مُوَاجَهَتِهَا قَبْلَ أنْ تَمْتَلِكَ أَدَوَاتِ القُوَّةِ العَسْكَرِيَّةِ.

والمُشْكِلَةُ الحَقِيْقِيَّةُ أنَّ مَقَالَةَ «هَانْتِنجتُون» قَدْ لَقِيَتْ تَأْيِيْدًا وتَنْفِيْذًا مِنْ أصْحَابِ القَرَارِ في الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ، وبَدَأَتْ تُسَيْطِرُ بشَكْلٍ كَبِيْرٍ على تَفْكِيْرِهِم، وانْتَقَلَتْ هَذِهِ التَّصَوّرَاتُ إلى وَسَائِلِ الإعْلامِ الأمْرِيْكِيَّةِ الَّتِي بَدَأَتْ بتَعْزِيْزِ صُوْرَةٍ نَمَطِيَّةٍ عَنِ الحَرَكَاتِ الإسْلامِيَّةِ في المُخِيْلَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ ضِدَّ الإسْلامِ والمُسْلِمِيْنَ.

كَانَ لرُوْحِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ» دَوْرُهَا في تَطْوِيْرِ الهُجُوْمِ، واسْتِهْدَافِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ الَّتِي تَرْفُضُ التَّبَعِيَّةَ الكَامِلَةَ للغَرْبِ، وتَضْيِيْقِ الخِنَاقِ عَلَيْهَا، وفي هَذَا الإطَارِ وَضَعَتْ أمْرِيكَا قَائِمَةً حَمْرَاءَ لهَذِهِ الدُّوْلِ، أطْلَقَتْ عَلَيْهَا اسْمَ: «الدُّوَلُ

المَارِقَةُ»، وتَمَّ ضَمُّ دَوْلَتَيْنِ غَيْرَ إسْلامِيَّتَيْنَ: وهُمَا «كُوْبَا، وكُورِيَا الشَّمالِيَّةُ» للقَائِمَةِ، لتَمَرُّدِهَا على الهَيْمَنَةِ الغَرْبِيَّةِ، وللضَّغْطِ عَلَيْهَا، ومَنْعِهِمَا مِنَ تَقْدِيْمِ أيِّ دَعْمٍ في مَجَالِ التَّسْلِيْحِ للدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ.

* * *

◻ الدُّوَلُ المَارِقَةُ:

دَفَعَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ»: الغَرْبَ لاخْتِيَارِ مَجْمُوْعَةٍ مِنَ الدُّوَلِ النَّامِيَةِ؛ لتَكُوْنَ هَدَفًا للتَّصَارُعِ مَعَهَا، وقَدْ تَمَّ الإعْلانُ على دُوَلٍ ضَعِيْفَةٍ تَسْعَى للاسْتِقْلالِ، بَدَأتِ الولايَاتُ المُتَّحِدَةُ بالتَّحَرُّشِ بالدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ بشَكْلٍ خَاصٍّ، وقَدْ بَدَأتْ أمْرِيْكَا هَذِهِ الدُّوَلَ بالعُدْوَانِ بحَشْدِ الدُّوَلِ الغَرْبِيَّةِ المُتَحَالِفَةِ مَعَهَا لحِصَارِهَا وتَضْيِيْقِ الخَنَاقِ عَلَيْهَا، وفي هَذَا العَصْرِ هَاجَمَتْ أمْرِيْكا: لِيْبِيَا، والسُّوْدَانَ، وأفْغَانِسْتَانَ، والعِرَاقَ بالصَّوَارِيْخِ خِلالَ الثَّمانِيْنِيَّاتِ والتِّسْعِيْنِيَّاتِ (أيْ: خِلالَ القَرْنِ الرَّابِعَ والخَامِسَ عَشَرَ الهِجْرِي)، ثُمَّ غَزْوُ الدَّوْلَتَيْنِ الأخِيْرَتَيْنِ واحْتِلالِهِمَا عَسْكَرِيًّا مَعَ بِدَايَةِ الألْفِيَّةِ الجَدِيْدَةِ.

تَسَبَّبَتْ «عَقِيْدَةُ الصِّرَاعِ» في غَزْوٍ عَسْكَرِيٍّ كَامِلٍ لأَفْغَانِسْتَانَ، والعِرَاقِ في عَهْدِ إِدَارَةِ الرَّئِيْسِ «بُوش»، بمُشَارَكَةِ تَحَالُفٍ مِنْ مُعْظَمِ دُوَلِ الغَرْبِ، وتَمَّ اسْتِدْعَاءُ نَظَرِيَّةِ: «الحَرْبِ العَادِلَةِ» مَرَّةً أُخْرَى؛ لإعْطَاءِ المَشْرُوْعِيَّةِ للصِّرَاعِ، ولتَسْوِيْغِ ضَرْبِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ، بحُجَّةِ مَنْعِ حُدُوْثِ تَقَاطُعٍ بَيْنَ الجَمَاعَاتِ الإسْلامِيَّةِ، وحُكُوْمَاتِ هَذِهِ الدُّوَلِ المُتَمَرِّدَةِ، وأصْبَحَ مُصْطَلَحُ «الحَرْبِ العَادِلَةِ»، ودَلالاتُهُ الدِّيْنِيَّةُ هُوَ السَّائِدَ على لِسَانِ قَادَةِ الغَرْبِ المُعَاصِرِيْنَ، والنُّخْبَةِ في مُعْظَمِ أطْيَافِهَا، إذْ لُوْحِظَ أنَّ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» لَيسَتْ مُرْتَبطَةً فَقَط بالحُكُوْمَاتِ الغَرْبِيَّةِ وصُنَّاعِ القَرَارِ السِّيَاسِي فِيْهَا، إنَّما مَوْجُوْدَةٌ لَدَى النُّخْبَةِ ورُمُوْزِ الهَيْئَاتِ الشَّعْبِيَّةِ، فَقَدْ أعَدَّ «مَعْهَدُ القِيَمِ» بأمْرِيْكا بيَانًا في (فِبْراير ٢٠٠٢م) (٢/ ١٤٢٢هـ)، وَقَّعَ عَلَيْهِ سُتُّوْنَ مِنْ كُبَارِ المُفَكِّرِيْنَ والفَلاسِفَةِ والشَّخْصِيَّاتِ بعُنْوُانِ: «على أيِّ أسَاسٍ نُقَاتِلُ؟»، أيَّدُوا فِيْهِ حَرْبَ أمْرِيْكا ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ، ووَصَفُوْهَا بأنَّها: «الحَرْبُ العَادِلَةُ»، وقَدْ عَبَّرَ المُوقِّعُوْنَ عَنِ الرُّؤْيَةِ الصِّرَاعِيَّةِ الَّتِي تُسَيْطِرُ على العَقْلِ الغَرْبي، وأعْطَوْا العُدْوَانَ على دُوَلِ المُسْلِمِيْنَ الغَطَاءَ

والمُشْرُوعِيَّةَ الأخْلاقِيَّةَ!

قَالَ المُثَقَّفُوْنَ الأمْرِيْكِيُّونَ: «إنَّنَا نَعْلَمُ بمُقْتَضَى العَقْلِ، ومِنْ خِلالِ التَّأمُّلِ الدَّقِيْقِ للأخْلاقِ أنَّ بَعْضَ الأحْيَانِ يَكُوْنُ أوَّلُ وأهَمُّ مَا يُقَامُ بِهِ لمُوَاجَهَةِ الشَّرِّ هُوَ إيْقَافُهُ، وفي بَعْضِ الأوْقَاتِ لا يَكُوْنُ الشُّرُوْعُ في الحَرْبِ جَائِزًا فحَسْبُ، بَلْ وَاجِبًا أخْلاقِيًّا»، تَكْشِفُ الأسْبَابُ الَّتِي يَطْرَحُهَا المُثَقَّفُوْنَ الأمْرِيْكِيُّونَ أنَّهُم لا يَسْتَطِيْعُوْنَ الفَكَاكَ مِنْ أسْرِ «عَقِيْدَةِ الصِّرَاعِ»!

ومَعَ حُبِّ الغَرْبِ للصِّرَاعِ العُدْواني، فأنَّهُ لا يَسْتَطِيْعُ شَنَّ حُرُوْبٍ عَسْكَرِيَّةٍ ضِدَّ كُلِّ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ في وَقْتٍ وَاحِدٍ؛ لِذَا فَأنَّهُ يُنَوِّعُ أسَالِيْبَ الحَرْبِ تَحْتَ الاضْطِرَابِ، ويُجَيِّشُ كُلَّ مَا هُوَ مُتَاحٌ في الإجْرَاءَاتِ الاسْتِبَاقِيَّةِ، في هَذَا الإطَارِ ابْتَكَرَ الغَرْبُ الحَرْبَ على مَا يُسَمَّى: «الإرْهَابُ»، لاحْتِوَاءِ ظَاهِرَةِ عَوْدَةِ المُسْلِمِيْنَ إلى الدِّيْنِ، ومُوَاجَهَةِ الحَرَكَاتِ الإسْلامِيَّةِ في كُلِّ مَكَانٍ.

* * *

❑ مُحَارَبَةُ المُسْلِمِيْنَ:

كُلُّنَا يَعْلَمُ أنَّ المُسْلِمِيْنَ لم يَبْدَؤوا يَوْمًا مِنَ الأَيَّام صِرَاعًا مَعَ أمْرِيْكَا والغَرْبِ مُنْذُ ظُهُوْرِهَا الحَدِيْثِ بَلْ إنَّ الجِهَادَ الأَفْغَانيَّ لَمَّا مُنْسَجِمًا نَوْعًا مَا مَعَ المَصَالِحِ الأمْرِيْكِيَّةِ، وذَلِكَ مِنْ خِلالِ إسْقَاطِهِ للنِّظَام الشِّيُوعِيِّ الاشْتِرَاكِي ـ المُتَمَثِّلِ في الاتِّحَادِ السُّوفِيْتِي ـ الَّذِي يُمَثِّلُ العَدُوَّ اللَّدُوْدَ لأمْرِيْكَا وحُلَفَائِهَا، قَامَتْ حِيْنَهَا أمْرِيْكا بتَأيِيْدِ المُجَاهِدِيْنَ حَتَّى نِهَايَةِ الحَرْبِ.

ثُمَّ انْقَلَبَتْ أمْرِيْكا عَلَى مُجَاهِدِي أفْغَانِسْتَانَ وغَيْرِهِم، وسَعَتْ لتَحْجِيْمِهِم؛ خَشْيَةً مِنْ أنْ يَتَمَكَّنُوا مِنْ إقَامَةِ حكُومَاتٍ إسْلامِيَّةٍ تُهَدِّدُ اسْتِقْرَارَ مَشْرُوْعِ الهَيْمَنَةِ الغَرْبِيَّةِ الجَاثِمِ على بَعْضِ بِلادِ المُسْلِمِيْنَ.

لَقَدْ سَعَتْ أمْرِيْكَا مُنْذُ الثَّمانِيْنِيَّاتِ (أيْ: مُنْذُ القَرْنِ الرَّابِعَ عَشَرَ الهِجْرِي) لحَشْدِ تَحَالُفٍ عَالَمِيٍّ للصِّرَاع مَعَ المَدِّ الإسْلامِيِّ تَحْتَ شِعَارِ: «مُكَافَحَةِ الإرْهَابِ»، ولم تُفَرِّقْ بَيْنَ الإرْهَابِ الَّذِي ارْتَكَبَهُ بَعْضُ المُسْلِمِيْنَ هُنَا أو هُنَاكَ، وبَيْنَ

المُسْلِمِيْنَ المُسَالِمِيْنَ الأحْرَارِ الَّذِيْنَ لم يَرْكَعُوا أمَامَ الهَيْمَنَةِ الأمْرِيْكِيَّةِ، بَلْ سَعَتْ في خَلْطِ الأوْرَاقِ بَيْنَ الطَّالَحِ والصَّالِحِ، وبَيْنَ الظَّالِمِ والمُسَالِمِ.

لأجْلِ هَذَا فَقَدْ رَصَدَتْ أمْرِيْكَا أمْوَالًا ضَخْمَةً، وشَكَّلَتْ مُنَظَّمَاتٍ أمْنِيَّةً؛ لتَجْنِيْدِ العَالَمِ في مُحاسَبَةِ كُلِّ مَنْ تُرِيْدُ إسْقَاطَهُ مِنَ المُسْلِمْيْنَ؛ تَحْتَ دَعْوَى مُحَارَبَةِ الإرْهَابِ زَعَمُوا، كَمَا اسْتَطَاعَتِ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ إدْخَالَ المُنَظَّماتِ الدُّوَلِيَّةَ في الحَرْبِ المُخْتَلَقَةِ، واسْتَخْدَمَتِ الأُمَمَ المُتَّحِدَةَ لإصْدَارِ التَّشْرِيْعَاتِ والمَوَاثِيْقِ لإلْزَامِ العَالَمِ بالتَّوَرُّطِ في المَعْرَكَةِ المَوْهُوْمَةِ.

❊ ❊ ❊

❏ مُوَاجَهَةُ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ:

في مَنْظُوْمَةِ صِرَاعِ الغَرْبِ مَعَ الإسْلامِ، فَإنَّنَا نَجِدُ سَدَنَةَ الغَرْبِ لا يَسْتَأخِرُوْنَ سَاعَةً في مُوَاجَهَةِ أيِّ نَوَاةٍ أو فِكْرَةٍ تَسْعَى في عَوْدَةِ الخِلافَةِ الإسْلامِيَّةِ، أو تَسْعَى في بِنَاءِ دَوْلَةٍ إسْلامِيَّةٍ، لَها اسْتِقْلالُهَا الشَّرْعِيُّ، لأجْلِ هَذَا فَقْدَ طَالَتْ مُؤخَّرًا عُقُوْبَاتُ

الغَرْبِ على كَثِيْرٍ مِنْ دُوَلِ الإسْلامِ مَا بَيْنَ: حِصَارٍ، أو عَزْلٍ، أو تَضْيِيْقٍ، أو تَفْرِيْقٍ ومِنْ آخِرِهَا إذْكَاءُ الفِتْنَةِ بَيْنَ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ الوَاحِدِ.

مِنْ هُنَا؛ فَإنَّ صُعُوْدَ الإسْلامُ إلى الخِلافَةِ مَرَّةً أُخْرَى، يُعْتَبَرُ خَطَرًا كَبِيْرًا على الهَيْمَنَةِ الغَرْبِيَّةِ المُتَمَثِّلَةِ في أمْرِيْكَا وصَدِيْقَاتِهَا.

وهَذَا التَّوَجُّهُ الغَرْبيُّ يَأتي لأنَّ «الدُّوَلَ الغَرْبِيَّةَ تُدْرِكُ الخُطُوْرَةَ الكَامِنَةَ في مَنْطَقَتِنَا، فَهِيَ تُدْرِكُ قِيْمَةَ الإسْلامِ كرِسَالَةٍ حَضَارِيَّةٍ تَوْحِيْدِيَّةٍ أكْثَرَ مِنْ إدْرَاكِ أغْلَبِنَا لهَذِهِ الأهَمِّيَّةِ، وهِيَ تُدْرِكُ خُطُوْرَةَ الكُتْلَةِ الجُغْرَافِيَّةِ السُّكَّانِيَّةِ لمَجْمُوْعَةِ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ، وتُدْرِكُ أثَرَ هَذِهِ الكُتْلَةِ ورِسَالَتَهَا على التَّوَازُنَاتِ العَالَمِيَّةِ إذَا هُيِّأ لها أنْ تَنْهَضَ، ولهَذَا فَإنَّ عُيُوْنَهُم مَصُوْبَةٌ عَلَيْنَا بشَكْلٍ خَاصٍّ». انْظُرْ: «دِيْنٌ وحَضَارَةٌ» لعَادِل حُسَيْنٍ.

* * *

☐ صُعُوْدُ البُرُوتسْتَانْتِيَّةِ، والحُرُوْبُ العُدْوَانِيَّةُ:

لا يُمْكِنُ إغْفَالُ الدَّوْرِ الَّذِي لَعِبَهُ الدِّيْنُ في إذْكَاءِ الصِّرَاعِ

عِنْدَ الغَرْبِ، خَاصَّةً المَذْهَبِ البُرُوتسْتَانتي بطَبِيْعَتِهِ الجَدِيْدَةِ، وتَأْثِيْرِهِ العَدَائِي على السِّيَاسَةِ الغَرْبِيَّةِ، يَعْتَقِدُ البُرُوتسْتَانت في العَوْدَةِ الثَّانِيَةِ للمَسِيْحِ، والحُكْمِ الألْفِي الَّذِي وَرَدَ في سِفْرِ «الرُّؤيا»، وهَذِهِ العَوْدَةُ - حَسَبَ فَهْمِهِم - تَسْبِقُهَا حُرُوْبٌ مُدَمِّرَةٌ تَنْتَهِي بحَرْبِ «هَرْمَجَدُّوْنَ»[1] المَزْعُوْمَةِ في فِلِسْطِيْنَ الَّتِي سَيُقْتَلُ فِيْهَا المَلايِيْن، وأنَّ هَذِهِ الحَرْبَ، وهَذَا الدَّمَارَ أمْرٌ حَتْمِيٌّ؛ كَي يَعُوْدَ المَسِيْحُ، ويَحْكُمَ الأرْضَ لمُدَّةِ ألْفِ عَامٍ، ويَعْتَقِدُ البُروتسْتَانت أنَّ تَجْمِيْعَ يَهُوْدَ العَالَمِ، وإقَامَةَ الهَيْكَلِ مُقَدِّمَةٌ لهَذِهِ العَوْدَةِ!

إنَّ «الاعْتِقَادَ بأنَّ عَوْدَةَ اليَهُوْدُ مُتَّسِقَةٌ مَعَ النُّبُوءَةِ، لَيْسَ رَأيًا مُحَابِيًا لليَهُوْدِ حَسْبَمَا يَبْدُو، لأنَّ بَقِيَّةَ النُّبُوءَةِ تُشِيْرُ إلى

---

(١) إنَّ مَعْرَكَةَ «هَرْمَجَدُّوْن» كِذْبَةٌ وخُرَافَةٌ لا حَقِيْقَةَ لَهَا، بَلْ هِيَ مِنَ المَعَارِكِ التِّي اخْتَلَقَهَا رِجَالُ الكَنِيْسَةِ، فانْتَبِهْ!

وقَدْ خَرَجَتْ مُؤخَّرًا كُتُبٌ كَثِيْرَةٌ تَتَكَلَّمُ عَنْ مَعْرَكَةِ «هَرْمَجَدُّوْن»، فَكَانَ مِنْ أجْوَدِهَا تَحْرِيْرًا وأحْسَنِهَا تَقْرِيْرًا كِتَابُ: «مَلاحِم آخِرِ الزَّمَانِ» للأخِ يَاسِرِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الأحْمَدِيِّ، فَكِتَابُهُ هَذَا جَدِيْرٌ بالقِرَاءَةِ، لاسِيَّما هَذِه الأيَّامَ الَّتِي كَثُرَ فِيْهَا القِيْلُ والقَالَ!

تَحَوُّلِ اليَهُوْدِ القَادِمِ المُسِيْحِيَّةِ، وبذَلِكَ يُوَفُّوْنَ بأحَدِ الشُّرُوْطِ الضَّرُوْرِيَّةِ للقُدُوْمِ الثَّاني للمَسِيْحِ». انْظُرْ: «الشَّعْبُ المُخْتَارُ» (١٨).

وكَانَتْ هَذِهِ العَقِيْدَةُ الَّتِي اعْتَنَقَهَا الإنْجِلِيْزُ وَرَاءَ ظُهُوْرِ وَعْدِ «بِلْفُوْر»، ومَنْحِ فِلِسْطِيْنَ للعِصَابَاتِ اليَهُوْدِيَّةِ بقُوَّةِ السِّلاحِ، والاحْتِلالِ العَسْكَرِيِّ، والدَّعْمِ الغَرْبِيِّ اللَّامَحْدُوْدِ للكَيَانِ الصِّهْيُوني لَيْسَ لأسْبَابٍ مَصْلَحِيَّةٍ، أو تَكْفِيْرًا عَنْ جَرَائِمِ النَّازي كَمَا يُرَدِّدُ البَعْضُ، وإنَّما لأسْبَابٍ عَقَائِدِيَّةٍ سَابِقَةٍ على جَلْبِهِم إلى الأرْضِ المُقَدَّسَةِ بقُرُوْنٍ طَوِيْلَةٍ[١].

وحَمَلَتْ أمْرِيْكَا لِوَاءَ البُروتسْتَانتية بَعْدَ تَرَاجُعِ الإمْبَرَاطُوْرِيَّةِ البرِيْطَانِيَّةِ، ووَاصَلَ المُؤمِنُوْنَ بعَقِيْدَةِ نِهَايَةِ الزَّمَانِ في الوِلايَاتِ المُتَّحِدَةِ العَمَلَ؛ لتَنْفِيْذِ مَا يَزْعُمُوْنَ أنَّهَا «خُطَّةُ الرَّبِّ» بإشْعَالِ الحُرُوْبِ في كُلِّ مَكَانٍ، وخَاصَّةً ضِدَّ العَالَمِ الإسْلامِيِّ.

لا خِلافَ بَيْنَ الأمْرِيْكِيِّيْنَ المُتَدَيِّنِيْنَ، والأمْرِيْكِيِّيْنَ

---

(١) انْظُرْ: كِتَابَ «القَضِيَّةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ» للمُؤلِّفِ، فَقَدْ ذَكَرْتُ فِيْهِ تَارِيْخَ فِلِسْطِيْنَ، والحُلُوْلَ الشَّرْعِيَّةَ، فانْظُرْهُ مَشْكُوْرًا.

العَلْمانِيِّيْنَ، فَهُم سَوَاءٌ في اعْتِنَاقِ ذَاتِ العَقِيْدَةِ، لا فَرْقَ بَيْنَ أرَاءِ «جِيْرِي فالْويل»، و«باتْ رُوبرت سُون»، وغَيْرِهِمَا مِنْ قَادَةِ اليَمِيْنِ المَسِيْحِي، وأرَاءِ مُفَكِّرِيْنَ عَلْمَانِيِّيْنَ، مِثْلِ «فِرَانْسِيس فُوكُويَاما» صَاحِب: «نِهَايَةِ التَّارِيْخِ»، و«صَمُويل هَانْتُنجتون» صَاحِبِ: «صِدَامِ الحَضَارَاتِ»، فالفَرِيْقُ الأوَّلُ يُؤَصِّلُ لحَرْبِ «هَرْمَجَدُّوْنَ» برُؤيَةٍ دِيْنِيَّةٍ، بَيْنَما يَتَبَنَّى الفَرِيْقُ الثَّاني ذَاتَ العَقِيْدَةِ، ولكِنْ برُؤيَةٍ عَلْمَانِيَّةٍ.

لكِنَّ وُصُوْلُ المُحَافِظِيْنَ الجُدُدِ لقِيَادَةِ الولايَاتِ المُتَّحِدَةِ في بِدَايَةِ الألْفِيَّةِ الثَّالِثَةِ زَادَ مِنِ انْدِفَاعِ الغَرْبِ تُجاهَ التَّصادُمِ، واتَّسَعَتِ المُوَاجِهَةُ مَعَ الدُّوَلِ الإسْلامِيَّةِ بشَكْلٍ غَيْرِ مَسْبُوْقٍ.

وظَهَرَ دَوْرُ الدِّيْنِ كمُحَرِّضٍ وكمُحَفِّزٍ للغَرْبِ في التَّحَالُفِ العَسْكَرِيِّ، والمُشَارَكَةِ في تَطْوِيْقِ المُسْلِمِيْنَ، إنَّ المَوْقِفَ الغَرْبِيَّ المُعَادِي تُجاهَ الإسْلامِ لم يَكُنْ أبَدًا رَدَّةَ فِعْلٍ، ولَيْسَ وَلِيْدَ أحْدَاثٍ اسْتِثْنَائِيَّةٍ، لَقَدْ كَانَتْ رُوْحُ الصِّرَاعِ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُهُم دَوْمًا لشَنِّ الحُرُوْبِ.

مِنْ هُنَا فَإنَّ الحُرُوْبَ الأخَيْرَةَ الَّتِي أشْعَلَهَا الغَرْبُ عَقِبَ

أحْدَاثِ (١١/ سِبْتَمْبر/ ٢٠٠١م) (٢٣/ ٦/ ١٤٢٢هـ) لا يُمْكِنُ النَّظَرُ إلَيْهَا على أنَّهَا رَدَّةُ فِعْلٍ، أو عَزْلِهَا عَنِ المُعْتَقَدِ والسُّلُوْكِ الصِّرَاعِي للغَرْبِ مَعَ المُسْلِمِيْنَ، فالعَدَاوَةُ سَابِقَةٌ على هَذَا التَّارِيْخِ، والاسْتِعْدَادُ للحَرْبِ كَانَ مُبَيَّتًا، سَوَاءٌ وَقَعَتِ أحْدَاثُ «سِبْتَمْبر»، أم لا، فَهِيَ في حَقِيْقَةِ الأمْرِ: نَتِيْجَةٌ، ولَيْسَتْ سَبَبًا.

لكِنَّ التَّوْقِيْتَ رُبَّما كَانَ سَيَتَأخَّرُ قَلِيْلًا لو أنَّ مَا حَدَثَ لم يَحْدُثْ واللهُ أعْلَمُ، وحَتَّى لَو كَانَتْ تِلْكَ التَّفْجِيْرَاتُ ذَرِيْعَةً، فإنَّ الانْتِقَامَ مِنْ دُوَلٍ وشُعُوْبٍ بالشَّكْلِ المَأسَاوِيِّ الَّذِي تَمَّ لا نَجِدُ لَهُ تَفْسِيْرًا إلَّا أنَّ «عَقِيْدَةَ الصِّرَاعِ» تَجْعَلُ الغَرْبَ يَنْزِعُ إلى الاعْتِدَاءِ والإبَادَةِ في كُلِّ الأحْوَالِ.

وعَلَيْهِ؛ فَلَنْ يَسْتَطِيْعَ الغَرْبُ أنْ يَمْسَخَ مِنْ صَفَحَاتِ التَّارِيْخِ: بَشَاعَةَ جَرَائِمِهِم، وشُنَاعَةَ صِرَاعَاتِهِم مَعَ المُسْلِمِيْنَ. انْظُرْ: «الغَرْبُ أصْلُ الصِّرَاعِ» لعَامِرِ بنِ عَبْدِ المُنْعِمِ.

❊ ❊ ❊

وأخِيْرًا؛ فَهَذَا جَوَابٌ مُخْتَصَرٌ كَتَبْتُهُ على جَنَاحِ السُّرْعَةِ

تَلْبِيَةً لرَغْبَةِ بَعْضِ الأفَاضِلِ ممَّنْ وَجَبَ عَلَيْنَا إجَابَتُهُم، واسْتَوْجَبَتْ عَلَيْنَا نَصِيْحَتُهُم.

والحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ



الفَهَارِسُ المَوْضُوعِيَّةُ

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

□ □ □